الاتجاهات الحديثة فى البحث التاريخى
حـول
موقف الاقباط من الفتح الاسلامى

دكتور

أحمد محمد الدسوقى المنوفى

أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة

بكلية اللغة العربية

جامعة الأزهر - إيتاى البارود

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)

صدق الله العظيم

سورة الرحمن الآية (٦٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين . وبعد ....

فمع مواكب احتفالنا بمرور أربعة عشر قرنا على الفتح الإسلامى لمصر، وفى أنوار هذه الذكرى التاريخية ، وعبقها الفواح ، وقع الاختيار على هذا العنوان " الاتجاهات الحديثة فى البحث التاريخى حول موقف الأقباط من الفتح الإسلامى " ليكون موضوع هذا البحث .

والحقيقة أن وقائع الفتح الإسلامى لمصر وملابساته ، ما تزال فى حاجة إلى أقلام الباحثين ، لتميط اللثام عن كثير من خفايا هذا البحث التاريخى ، ولتقطع الشك بما يقترن من اليقين فى بعض الأمور المتعلقة به، ومن هذه الأمور ترحيب الأقباط بالفتح الإسلامى ، فقد حاول بعض الباحثين ، إثارة الشبهات حول هذا الموقف – بالذات – بحسن نية أو بسوئها ، وهذا الأمر لا تقف أبعاده عند مجرد المعلومة التاريخية ، بل تتعداه إلى واقعنا الحاضر ، وبنائنا الاجتماعى ، وتماسكنا الداخلى ، وتزداد أهميته مع ما نشاهد من محاولات التفريق بين أبناء الشعب الواحد فى مصر من مسلمين ونصارى ، ومن جهات لا تخفى أهدافها الخبيثة .

ولا يعنى ذلك ، أن يكون الهدف من هذا البحث الوصول إلى نتيجة بعينها ، تخدمنا أو ترضينا ، فهذا مما يرفضه البحث العلمى النزيه ، وإنما الهدف الوصول إلى الحقيقة ، أو ما يقترب منها إذا تعذر الوصول إليها ، ثم تقبلها بعد ذلك – بصدور رحبة ، وعقول متفتحة .

وقد قسمت البحث إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة ثم خريطة لمصر ومصادر البحث ومراجعه ، وكان التمهيد حول وقائع الفتح وملابساته ، وتحدث عن العوامل المؤثرة فى موقف الأقباط من الفتح ، وكانت هذه **العوامل هى** : الصلات بين الأقباط والعرب قبل الفتح الإسلامى ، وحالة مصر قبل هذا الفتح والتأثير الدينى للفاتحين المسلمين .

ثم تحدث التمهيد عن موجز عمليات الفتح الإسلامى العسكرية لمصر ، وموقف الأقباط من الفتح حسب رواية المصادر ومظاهر ترحيب الأقباط بالفاتحين .

وتناول المبحث الأول عرض الاتجاهات الحديثة حول موقف الأقباط من الفتح الإسلامى .

وتناول المبحث الثانى قضية حياد الأقباط تجاه الفتح ، وناقش حجج من قال بحياد الأقباط ، واختار اثنين منهم ، الأول (ألفريد بتلر) فذكر براهينه وعرض لمنهجه واتجاهاته ثم ذكر الرد عليه ، والثانى (جاك تاجر)، فعرض لأدلته وبين منهجه واتجاهه ووضح الرد عليه .

وتناول هذا المبحث – أيضا – التشكيك فى ترحيب الأقباط بالمسلمين أو إستغلاله استغلالا سيئا ، وذكر الدفاع عن موقف الأقباط من الفاتحين ، أما الخاتمة فكانت صفوة القول فى موضوع البحث .

وقد استعان البحث بكثير من المصادر اللازمة لتوثيق معلوماته ، وفى المقدمة منها (كتاب فتوح مصر والمغرب والأندلس) لعبد الرحمن بن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧هـ / ٨٧٠ م ، بطرق مباشر، وكتاب (تاريخ حنا النقيوسى) المتوفى أواخر القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى) . بطريق غير مباشر .

كما اعتمد البحث – بصفة خاصة – على العديد من الكتب والمراجع الحديثة التى تخدم موضوع البحث ، وخص كتاب (فتح العرب لمصر) لألفريد بتلر، وكتاب (أقباط ومسلمون من الفتح العربى إلى عام ١٩٢٢ م) لجاك تاجر، بمزيد من العناية والدرس ، لأنهما يمثلان اتجاهين محوريين من الإتجاهات الحديثة حول موقف الأقباط من الفتح الإسلامى ، يخالف ما تعارف عليه المؤرخون قديما وحديثا .

هذا وأرجو من الله – تعالى – أن يصل هذا البحث بأمان إلى مرفأ الحقيقة ، ويحقق الغاية المنشودة ،وأن يتجنب عثار الزلل ومهاوى الخطأ ، فإن تم ذلك فالفصل من الله – تعالى – وإليه ، وإن كان غير ذلك فحسبى ما بذلت من جهد ، أحتسبه عند الله جل فى علاه – الذى يجزى العاملين ، ويجزل ثواب المحسنين ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

حول وقائع الفتح الإسلامى وملابساته

أولا :

العوامل المؤثرة فى موقف الاقباط من الفتح

ثانيا:

موجز عمليات الفتح الإسلامى العسكرية لمصر.

ثالثا :

موقف القبط من الفتح حسب رواية المصادر.

رابعا :

مظاهـــر ترحيـــب الاقبـــاط بالفاتحيـــن .

التمهيد

حول وقائع الفتح الإسلامى وملابساته

أولا : *العوامل المؤثرة فى موقف الاقباط من الفتح*.

١- الصلات بين العرب والأقباط قبل الفتح الإسلامى :

لم يكن فتح العرب لمصر أول اتصال بين القبط والعرب ، فالروابط بينهما والعلاقات قديمة ، وما كان الفتح الإسلامى لمصر إلا حلقة من حلقات الاتصال بين العرب والقبط على مر العصور ، وأعرض لأهم هذه العلاقات والروابط :

أ) الرابطة الجنسية :

١- وحدة الأصل والخلاف حول ذلك :

يرى بعض العلماء أن العرب والفراعنة – أجداد الأقباط – من أصل واحد، فهما أبناء عملاق بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وكان أبناء عملاق ، ويدعون العماليق ممن انبسط فى الأرض ، فأخذوا ما بين البحرين وعمان والحجاز كله إلى الشام ومصر[1]. ويذكر ابن الأثير أن العماليق أبناء عمليق

---

[1] الحموى : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله معجم البلدان . دار إحياء التراث العربى بيروت جـ٥ ص ٨٤ .

ابن أرفخشذ بن سام بن نوح ، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون والفراعنة بمصر ، بل ويذكر أنهم كانوا عربا لسانهم عربى[1] .

وهناك رأى آخر ، وهو أن العرب والقبط من أصلين مختلفين ، فقد ذكر اليعقوبى أن أكبر أبناء بيصر بن حام بن نوح - اسمه مصر- هو الذى اقتطع مصر- وبه سميت - له ولولده وهم الأقباط[2] ، وعند ابن قتيبة أن القبط من أبناء كنعان بن حام بن نوح[3] ، وفى رواية أخرى لابن الأثير، أن القبط من ولد فوط بن حام بن نوح[4] . ومعلوم أن العرب ساميون من نسل سام بن نوح . وحتى لو فرضنا اختلاف الأصل ، فقد قامت الهجرات البشرية بين الجزيرة العربية ومصر ، بدور كبير فى تقوية صلات الدم والقربى بين العرب والقبط .

٢- الهجرات البشرية :

وفى هذا الصدد ، يرى علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا) أن الجزيرة العربية تكملة طبيعية لصحارى إفريقيا ، التى يفصلها عنها الآن

---

(١) ابن الأثير: أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد الكامل فى التاريخ دار الفكر . بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م جـ١ ص ٤٥ .

(٢) اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب . تاريخ اليعقوبى . دار صادر بيروت مجلد (١) ص ١٨٥ والأقباط جمع قبطى ، والقبطى نسبة إلى قبط ، وقبط معناها مصر . شنودة : زكى تاريخ الأقباط . جمعية التوفيق القبطية . الطبعة الأولى ١٩٦٢ م جـ١ ص١١ .

(٣) ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم . المعارف الطبعة السادسة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ م ص٢٦ .

(٤) الكامل مصدر سابق ص٤٤ .

وادى النيل ، ومنخفض البحر الأحمر، كما ذهبوا إلى أن الجزء الجنوبى الغربى من بلاد العرب، كان فى العصور الجيولوجية القديمة يتصل بإفريقيا، وكان البحر الأحمر عبارة عن بحيرة ، وذلك مما ساعد على اتصال العرب بمصر، وترجع صلات السلالة والدم بين وادى النيل وشمال الجزيرة العربية إلى عصور ما قبل التاريخ ، فقد خرجت من الجزيرة العربية عبر عصور التاريخ هجرات بشرية إلى المناطق الخصبة المجاورة فى الشام والعراق ومصر[1] .

وعندما زار المؤرخ اليونانى(هيرودوت) مصر حوالى ٤٤٨-٤٤٥ ق .م.

وجد أن الأقسام الشرقية من مصر، ولا سيما المناطق المتصلة بطور سيناء ، مأهولة بقبائل عربية ، وطبيعى أن هذه القبائل استقرت هناك قبل ذلك العصر بزمن طويل[2] .

وربما كانت آخر هجرة إلى مصر- قبل ظهور الإسلام - تلك التى قامت بها بعض بطون خزاعة - عندما أجدبت بلادهم - إلى مصر والشام[3]

وعاش بعض المصريين فى الحجاز، والدليل على ذلك ما ذكرته كتب السيرة من أن الكعبة أصابها سيل عظيم صدع بنيانها ، قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم بخمس سنوات سنة ٦٠٦م ، فأعادت قريش بناءها .

---

(١) حتى : فيليب تاريخ العرب بيروت ١٩٥٨م جـ١ ص١٥، البرى : د. عبد الله خورشيد القبائل العربية فى مصر . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م ص١٠ .

(٢) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام بغداد ١٩٥٠م جـ٢ ص٢٨٦ ، البرى القبائل العربية فى مصر ص٢٢ .

(٣) البرى : المرجع السابق ص٣٩ .

مستعينة بنجار قبطى كان يسكن مكة ، يقال لـه (بـاقم) ، وورد أن جبر بـن عبد الله القبطى كان أحد الصحابة الذين تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول المقوقس إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، والقبط تفتخر بصحبة واحد منهم للنبى صلى الله عليه وسلم ، وتوفى سنة ٦٣هـ[١] .

وكان بالأسكندرية قبل الفتح الإسلامى عدد كبير من العرب بجانب القبط والبيزنطيين والسوريين واليهود فقد كانت مدينة تجارية[٢] ، كما كان هناك عدد كبير من العرب فى شرق الدلتا ، وبعض مدن الصعيد مثل مدينة قفط ، التى قال عنها المؤرخ والجغرافى اليونانى (سترابون المتوفى سنة ٢٥م) إنها مدينة نصف عربية[٣] .

٣- النسب والمصاهرة :

فأم عرب الحجاز السيدة (هاجر) من قبط مصر ، وأم إبراهيم بن الرسول صلى الله عليه وسلم ، السيدة (مارية القبطية) وقد روى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (ستفتح عليكم - بعدى - مصر، فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لهم صهرا ذمة)[٤] .

---

(١) ابن هاشم : أبو محمد عبد الملك بن هشام السيرة تحقيق محمد السرجانى . المكتبة التوفيقية القاهرة ١٩٨٦ جـ١ ص٢٠٠ ، السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن السيوطى حسن المحاضرة فى أخبار مصر القاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة الحلبى ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م جـ١ ص١٨٤ ، ١٨٥ .

(٢) بتلر: د. ألفريد فتح العرب لمصر ترجمة محمد فريد أبو حديد سلسلة تاريخ المصريين رقم (٢٧) ورقم (٢٨) الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٩م جـ١ ص٤٠ .

(٣) حسين : د. محمد كامل الحياة الفكرية والأدبية بمصر مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩م ص٢٥ ، ص٢٦ ، كاشف : د. سيد اسماعيل مصر فى عصر الولاة سلسلة تاريخ المصريين رقم (١٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٨م ، ص١٦ .

(٤) الإمام مسلم : مسلم بن الحجاج القشيرى صحيح الإمام مسلم . مطبعة عيسى الحلبى ١٩٥٥م جـ٤ ص١٩٧٠ .

الذمة : العهد ، والمراد بالصهر أنهم أخوال إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، أمه هاجر القبطية ، وهو الذبيح على الصحيح ، وهو والد عرب الحجاز الذين منهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخوال إبراهيم بن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأمه مارية القبطية من سنى كورة أنصنا ، وقد وضع عنهم معاوية الجزية إكراما لإبراهيم بن الرسول صلى الله عليه وسلم[١] .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : أهل مصر أكرم الأعاجم كلها ، وأسمحهم يدا، وأفضلهم عنصرا وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة[٢] .

وقد أكد أحد المؤرخين المحدثين الذين درسوا حركات الفتوح الإسلامية ، أن السوريين والمصريين كانوا يعتبرون العرب الفاتحين قوما من بنى جنسهم ، يربطهم بهم ما لا يربطهم بأولئك الحكام السابقين الذين كانوا من الأجانب الغاصبين[٣]

ويعلل (شارب) أحد المؤرخين الأجانب ميل المصريين إلى التسليم للفرس بعد هزيمة الروم ، إلى أن الجيش الفارسى الذى فتح به كسرى مصر آخر سنة ٦١٦م ، كان به من أهل الشام ، وبعضهم من العرب ، وكان هؤلاء يمتون إلى الفلاح المصرى بصلات الدم والود[٤] .

---

(١) ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . دار الكتب المصرية ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م جـ١ ص٢٨ ،٢٩ .

(٢) المصدر السابق ص٢٩ .

(٣) حتى : تاريخ العرب مرجع سابق جـ١ ص١٩٤ ، ١٩٨ .

(٤) بتلر فتح العرب لمصر مرجع سابق جـ١ ص ١٤٣ حاشية رقم (١) وقد نقل تعليل شارب فى كتابة تاريخ مصر، ولكنه لا يوافق عليه .

ب) العلاقات التجارية :

كانت هناك علاقات تجارية بين مصر وبلاد العرب منذ عصر الدولة القديمة ، فقد كانت بلاد العرب غنية بالبخور والعطور واللبان والصموغ ، ومن أشهر الحملات التجارية إلى بلاد العرب حملة الملكة (حتشبسوت) نحو ١٥٠٠ ق.م. إلى بلاد (بنت) التى كانت تشمل الشاطئين الإفريقى والآسيوى حول بوغاز باب المندب[١] وكانت عدن فى القرن الأول قبل الميلاد، مركزا تجاريا ، وموضعا هاما لاتصال العرب والأقباط ، وفى القرن الأول الميلادى كان للنبط صلات تجارية بالمصريين ، وكانت مدينة أيلة الخاضعة لهم ملتقى هاما لتجارة الشام ومصر وجزيرة العرب وإفريقية والمحيط الهندى [٢] .

كما قامت مدينة تدمر بدور هام فى التجارة العالمية ، وكانت عاصمة لمملكة تدمر العربية وكانت تدمر ملتقى لتجارة الهند والعراق والفرس وسورية وفلسطين ومصر وأوروبا[٣] ، وكان ميناء مخا على ساحل اليمن على البحر الأحمر ، تصل إليه السفن البيزنطية والسفن الواردة من مصر للتجارة وتبادل السلع[٤] .

---

[١] مختار: د. جمال تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) القاهرة ١٩٦٢م ص١٠٣ ، ص ١٠٤ ، ص١٠٦ حتى : تاريخ العرب مرجع تقدم جـ١ص٤٢ ،٤٣

[٢] نصحى : د. إبراهيم تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) القاهرة ١٩٦٢ : ص . ١٢ .

[٣] حتى : تاريخ العرب مرجع تقدم جـ١ من ص٩٧ –١٠٠ ، جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام جـ٣ ص٧٦ ومن ص١٠٣ إلى ص١٠٧ .

[٤] جواد على : المرجع السابق جـ٨ ص٩٧ .

وكان بعض تجار العرب يأتون إلى مصر قبل الإسلام ، ومنهم عمرو ابن العاص الذى كان يأتى بتجارته إلى مصر، وقد تجول فى بلادها وذهب إلى الأسكندرية وشهد أعياد أهلها وألعابهم[1] .

وكانت العلاقات التجارية عاملا من عوامل التقارب بين العرب والأقباط .

جـ العلاقات الدينية

وكانت من عوامل التقارب فقد ذكر بعض المؤرخين أن آلهة مصر انتقلت إلى بلاد العرب ، وأن الآلهة المشهورة عند العرب وهى اللات والعزى ومناة وغيرها ، يمكن رد أصلها إلى نظائر من آلهة مصر، فاللات – مثلا – هى معبودة مصرية اسمها المصرى شبيه بالإسم العربى ، ويرمز بها فى مصر إلى الحصاد ، على حين يذكر فى العربية أن هذا الإسم مشتق من لت السويق الذى يتخذ من الحنطة والشعير[2] .

ولما دخلت المسيحية مصر ، وأصبح للأسكندرية الزعامة الدينية فى الشرق المسيحى بما فيه بلاد العرب ، خرج منها بعض رجال الدين للتبشير فى البلاد الأخرى ومنها بلاد العرب ، ومن أشهر هؤلاء المبشرين (بنتينوس) (وأوريجانوس)[3] ، وفى سنة ٣٤٥م أسس أحد المبشرين كنيسة فى عدن ، وربما كان ذلك بتأثير الجاليات اليونانية والرومانية أو القبطية النصرانية فى هذا الميناء[4] .

---

(١) ابن عبد الحكم : عبد الرحمن فتوح . مصر والمغرب والأندلس طبعة ليدن ١٩٢٠م ص٥٥ ، الكندى : أبوعمرمحمد بن يوسف . ولاة مصر تحقيق د. حسين نصار . دار صادر بيروت بدون تاريخ ص٢٩ ، ٣٠ .

(٢) البرى : القبائل العربية فى مصر مرجع تقدم ص٣٦ .

(٣) المرجع السابق : ص٣٧ .

(٤) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام جـ٨ ص٩٨ ، ٩٩ .

ولما ظهر الإسلام ، وبعث النبى صلى الله عليه وسلم رسولا إلى المقوقس حاكم مصر وعظيم القبط ، يدعوه إلى الدين الجديد ، عامل الرسول معاملة حسنة ، ورد على النبى صلى الله عليه وسلم ردا جميلا ، وبعث إليه بهدايا ، تقبلها النبى صلى الله عليه وسلم[1] .

٢- حالة مصر قبل الفتح الإسلامى

* من الناحية السياسية :

كانت مصر قبل الفتح الإسلامى ، مجرد ولاية تابعة للإمبراطورية البيزنطية ، وقد حرم الروم على المصريين الإشتراك فى حكم بلادهم ، ومنعوهم من الإنتظام – بصورة عامة – فى صفوف الجيش حتى لا تكون لهم قوة[2] .

* من الناحية الإقتصادية :

ساءت أحوال مصر إقتصاديا فى ظل الحكم البيزنطى ، وقد اعتبرت بيزنطية مصر، مجرد مخزن للغلال يمد القسطنطينية بما تحتاج إليه ، وفرضت الضرائب الباهظة على المصريين لسد حاجتها من المال ، وبخاصة أثناء حروبها مع الفرس – ولم تراع مصالح البلاد ، ولم تهتم بشئون أهلها[3].

---

(١) ابن هشام : السيرة جـ٤ ص١٨٧ ، الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير تاريخ الرسل والملوك . دار المعارف القاهرة ١٩٧٧م جـ٢ ص٦٤٥ .

(٢) بتلر : فتح العرب لمصر مرجع تقدم جـ١ ، ص٢٢٠ ، ص٢٤١ .

(٣) الرافعى : عبد الرحمن ود. سعيد عاشور . مصر فى العصور الوسطى . دار النهضة العربية . القاهرة ١٩٨٦م ص٢٠ .

* من الناحية الإدارية :

كانت مصر مقسمة إلى خمسة أقسام إدارية،هى: الأسكندرية، وشرق الدلتا، وغرب الدلتا، ومصر العليا ومصر الوسطى ومعها الفيوم ، وكانت الرابطة بين هذة الأقسام الإدارية ضعيفة ، ويكاد كل حاكم من حكامها يكون مستقلا عن الآخر ،وكان هم هؤلاء الحكام ابتزاز الأموال وجمع الضرائب ، دون مراعاة لمصالح البلاد أو المواطنين ، وهكذا كان سوء الإدارة فى البلاد من عوامل معاناة القبط وسوء أحوالهم [1]

* من الناحية الدينية المذهبية :

تمسك الأقباط بمذهبهم الدينى وهو المذهب اليعقوبى أو المونوفيزيتى الذى يقول بطبيعة واحدة إلهية للسيد المسيح عليه السلام ، بينما اعتنقت الامبراطورية البيزنطية المذهب الملكانى ، ويقول بطبيعتين إلهية وبشرية، وحاولت فرضه بالقوة على الأقباط ، مستخدمة شتى وسائل التعذيب والاضطهاد ، وتمسك الأقباط ، مستخدمة شتى وسائل التعذيب والاضطهاد ، وتمسك الأقباط بمذهبهم الدينى الذى اكتسب طابعا قوميا [2]

ولما استقرت الأمور للإمبراطور هرقل (٦١٠ - ٦٤١) بعد استرداد مصر والشام من الفرس سنة ٦٢٩ م عمل جاهدا على القضاء على الخلاف المذهبى داخل امبراطوريته ، وأوجد صيغة للتوفيق بين المذهبين

---

(١) العدوى : د. ابراهيم مصر الإسلامية مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٦ م ،ص ٦ كاشف د. سيدة مصر فى عصر الولاة مرجع تقدم ص ١٧ .

(٢) العدوى : مصر الاسلامية مرجع تقدم ص٧ ، وهسى : جزم العالم البيزنطى ترجمة د. رأفت عبد الحميد دار المعارف القاهرة ١٩٨٢م من ص ١٠٥- ص ١٠٧ .

القائلين بالطبيعة الواحدة والقائلين بـالطبيعتين ، وذلـك بالإمتنـاع عـن الحديـث عن كنه المسيح وطبيعته ، والاعتراف بأن له إرادة واحدة ، ومشيئة واحـدة ، وهو ما عرف بالمذهب المونوثليتى أو مذهب التوفيق [1] .

لم يلق المذهب الجديد قبولا من أصحاب المذهبين السابقين ، وتمسك الأقباط بمذهبهم الدينى فـى إصـرار وعنـاد ، وصمم هرقل علـى إخضـاعهم للمذهب الجديد، وفى سبيل ذلك عين لمصر سنة ٦٣١م / ١٠ هـ حاكما يجمع بين السلطتين الدينية والسياسية ، هو (قيرس) الذى اشتهر باسم المقوقس [2] ، والذى عرف بالعنف والقسوة مما اضطر بطريرك الأقباط (بنيامين)إلى

---

[1] يوسف : د. جوزيف نسيم تاريخ الدولة البيزنطية دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٨ م،١٠٨ ، ١٠٩ .

[2] هناك خلاف حول شخصية المقوقس واسمه وأصله ، هل هو قبطى أو يونانى ؟ وهل هو الحاكم الذى وصلته رسالة النبى صلى الله عليه وسلم ؟ وهل هذة الرسالة كانت لحاكم أحد الاقاليم أو لحاكم مصر كلها ؟
ولبتلر فى كتابه فتح العرب لمصر ، بحيث دقيق فى هذة القضايا وقد اعتمد على المصادر والوثائق القبطية والبيزنطية بجانب المصادر العربية ، وقد خلص من بحثه إلى أن المقوقس – الذى فتحت مصر فى عهده – هو حاكم مصر من قبل هرقل ، وبطريق الاسكندرية ، واسمه (قيرس) وانه كان من أصل يونانى ، ولم يكن هو الحاكم الذى وصلته رسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، لنه تولى منصبه سنة ٦٣١ م / ١٠ هـ ، وكانت رسالة النبى صلى الله عليه وسلم سنة ٦٢٧ م/ ٦ هـ ، وكان اسم الحاكم آنذاك (جورج بن مينا) وكان حاكما للقطر المصرى بأكمله ، وذكر هذا الحاكم باسم المقوقس فى رسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه يبدو – كما ذكر مترجم الكتاب الأستاذ محمد فريد أبو حديد – أن كلمة المقوقس كانت لقبا اطلقته العرب على من يحكم مصر من الروم . ويميل البحث إلى هذا التعليل . بتلر فتح العرب لمصر مرجع تقدم جـ٢ الملحق الثالث من ص ٤٤٤ إلى ص ٤٦٤ ، وانظر تعليل المترجم ص ٤٥٩ حاشية رقم ١
ويميل (جاك تاجر) فى كتابه (اقباط ومسلمون) إلى الاعتقاد بأن المقوقس الذى فاوض فى تسليم بابليون ، هو شخص آخر غير البطريرك قيرس الذى أبرم صلح الاسكندرية والأول قبطى والآخر رومى ، والذى حمله على هذا الاعتقاد ، الفرق بين الاتفاقين ، فالأول يهتم بمصير الأقباط ، بينما يهتم الآخر بمصير الروم . (أقباط ومسلمون) دار المعارف القاهرة ١٩٥١ م ، ص٤٥ ، ص٤٦ .

الهرب من الأسكندرية والاختفاء فى وادى النطرون ، ومنه اتجه إلى طيبة بالصعيد [1] واشتد قيرس فى حمل المصريين على المذهب الجديد ، وأنزل بهم أقسى أنواع العذاب والاضطهاد ، ومن ذلك ما فعله بالاب مينا – شقيق البطريرك بنيامين ؛ إذ أمر بنزع أسنانه ، وكى جسمه بالنار، حتى يتخلى عن مذهبه اليعقوبى، وازداد الرجل أصرارا على مذهبه ، فأمر به فالقى فى النيل ليموت غريقا [2] .

وكان من نتيجة سوء أحوال مصرمن النواحى الاقتصادية،والإدارية فى ظل حكم الروم، والحياة البائسة التى عاشها القبط نتيجة لذلك، والاضطهاد المذهبى ، وما أدى إليه من العذاب والتشريد ، أثر كبير فى كراهية القبط للروم، وتمنى زوال حكمهم من مصر ، وكان ذلك أيضا من الأمور التى تعلل ترحيبهم بالفتح الإسلامى .

٣- التأثير الدينى للفاتحين المسلمين

من الخطأ البين إغفال البعد الدينى فى الفتوحات الإسلامية ، لأن ذلك يفقدها أهم خصائصها، وأكبر عوامل نجاحها، فلم يكن قدوم العرب المسلمسن لفتح مصر كقدوم غيرهم من الفاتحين ؛ فالهدف الأول والرئيس من هذا الفتح هو نشر الدعوة الإسلامية ، وذلك واضح جلى فى كل المفاوضات بين الفاتحين والروم أثناء فتح مصر ، وهذة الدعوة قائمة على الوضوح والبساطة.

---

(1) ابن المقفع : ساويرس أسقف الأشمونين سيرة الأباء البطارقة القاهرة ١٩٤٨ م ، ص ٢٢٦ الرافعى وعاشور مصر فى العصور الوسطى ٢٣

(2) بتلر : فتح العرب لمصر جـ ١ ، ص ١٦٣.

وكان أكثر الفاتحين من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقائد الجيش وكبار مساعديه وكثير من جنده منهم ، وباقيهم من التابعين بإحسان ، وللصحابة رضى الله عنهم مالهم من الإيمان القوى ، والطاقة الروحية الهائلة ، التى ورثوها عن صاحب الدعوة ، وهادى الأمة ﷺ المتصل بوحى السماء ، ***وكان من مظاهر ذلك :***

١- الحماس الدينى منقطع النظير ،والتضحية بأنفسهم ابتغاء مرضاة الله، وحبا فى نشر الدعوة، وقد اعترف بذلك المؤرخون المعاصرون لهم ، فقد ذكر بعض المؤرخين البيزنطيين المعاصريين لهم أن حاكما رومانيا فى القرن السابع الميلادى ، أرسل إليه الامبراطور (هرقل) يوبخه لعجزه عن صد المسلمين ، فرد عليه الحاكم المسيحى قائلا : (إنهم أقل منا عددا ، ولكن عربيا واحدا يعادل مائة من رجالنا ، ذلك أنهم لا يطمعون فى شئ من لذات الدنيا ، ويكتفون بالكساء البسيط والغذاء القليل ، هذا فى الوقت الذى يرغبون فيه فى الإستشهاد ، لأنه أفضل طريق يوصلهم إلى الجنة ، فى حين نتعلق نحن بأهداب الحياة ، ونخشى الموت) [١]

٢- الالتزام بتعاليم الإسلام السامية ، والسلوك القويم ، والسمت الجميل ، وعزوف غالبيتهم عن الأغراض الدنيوية ، وكان هدف عمرو بن العاص رضى الله عنه ، عندما احتجز وفد التفاوض من قبل الروم عنده يومين ، أن يتعرفوا عن كثب على هؤلاء المسلمين ، ليعرفوا أنهم ليسوا كالغزاة

---

[١] عاشور : د. سعيد أوروبا العصور الوسطى مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٨ م جـ ١ ، ص. ١٢ نقلا عن :

Fyre : European Clivilisation, Vol, 111, PP . 63-64

الذين طرقوا أرض مصر من قبل ، وعندما عاد الوفد إلى المقوقس ، سألهم عن المسلمين ، فقالوا : (رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، وإنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، لا يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد من العبد ، وإذا حضرت الصلاة ، لم يتخلف عنها منهم أحدا ؛ يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم) .

ولم يتمالك المقوقس حين سمع ذلك إلا أن قال :(والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد) [1]

٣- التأثير الروحى والنفسى ، فقد انبهر كثير من القبط بهؤلاء الفاتحين الأشداء المتحمسين الزاهدين فى زخارف الدنيا ، وكانوا ممتنين لهم هذة المعاملة الإنسانية الرحيمة التى انطلقت من تعاليم الإسلام – بصفة عامة – ومن توصية الرسول ﷺ بالقبط بصفة خاصة .

وكان من نتيجة التأثير الروحى والنفسى ، ميل القبط إلى المسلمين الفاتحين ، ولم يقف الأمر عند حد الميل ، بل أقبل بعض القبط على اعتناق الإسلام –أثناء الفتوحات – على الرغم من قصر فترة إقامة المسلمين ببلادهم ، وتحمسوا للإسلام ، وانضموا إلى إخوانهم المسلمين فى حرب الروم [2]

---

[1] النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب نهاية الأرب فى فنون الأدب تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م ، جـ ١٩ ، ص ٢٩٢ وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١ ، ص١١ ، ص١٢ .

[2] بتلر : فتح العرب لمصر مرجع تقدم جـ٢ ، ص ٢٣٤ ، ص ٣١٥ ، نقلا عن (حنا النقيوسى) الذى عاش فى القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى) ونقل عنه أن الدخول فى الإسلام لم يقف عند حد القبط ، بل إن بعض الروم دخلوا فى الإسلام ، وقد دفعت مواقف المقوقس أثناء الفتح ، (بتلر) إلى الظن فى إسلامه سرا ، ونقل

فلا غرابة – إذن – أن يكون موقف القبط من الفتح الإسلامى ، موقف الترحيب والمعاونة ، يستوى فى ذلك من أسلم من القبط ومن لم يسلم وهم الأغلبية آنذاك .

ثانيا : موجز عمليات الفتح الإسلامى العسكرية لمصر :

١- فتح العريش والفرما :

سار عمرو بن العاص بجيشه من قيسارية بفلسطين إلى العريش أوائل سنة ١٩هـ / ٦٤٠م فاستولى عليها بسهولة ؛ بسبب خلوها من قوات الروم ، ثم واصل سيره إلى الفرما شرق مدينة بور سعيد الحالية ، وحاصرها المسلمون شهرا ثم استولوا عليها ، وأصبحت بذلك خطوط مواصلاتهم آمنه مع القوات الإسلامية فى الشام والحجاز [١] .

٢- فتح بلبيس وأم دنين وحصار بابليون :

اتجه عمرو بقواته جنوبا إلى بلبيس ثم أم دنين شمال حصن بابليون ، ثم وصل المسلمون إلى هذا الحصن المنيع ، وحشد البيزنطيون قواهم فى هذا الحصن لمجابهة الجيش الإسلامى [٢] ، وأرسل عمرو يطلب المدد من الخليفة،وحرص على الابتعاد عن الحصن حتى تأتيه الإمدادات واتجه فى هذة

=(بتلر) عن (حنا النقيوسى) –أيضا – أن من أسلم كان من أشد الناس فى أمر الدين ، وساند العرب .

[١] البلاذرى : أبو الحسن أحمد بن يحيى فتوح البلدان دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٦م ص٢١٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة مصدر تقدم جـ١ صـ٧ العدوى : مصر الإسلامية مرجع تقدم صـ١٨ ، صـ١٩ .

[٢] ابن تغرى بردى : المصدر السابق صـ ٧ ، بتلر : فتح العرب لمصر جـ١ من صـ ٢١٠ ص ٢١٤ .

الفترة إلى الفيوم . ثم جاءته الإمدادات من الخليفة ،أربعة آلاف جندى ، عليهم أربعة من خيار قادة المسلمين،هم الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ، أو خارجة بن حذافة [1] .

٣- معركة عين شمس (هليوبوليس) :

وهى معركة بين الجيش الإسلامى وجيش الروم ، بعد أن وصلته هو الآخر إمدادات من بيزنطة ، وتمكن عمرو من هزيمة الروم ، وانسحب من بقى منهم إلى حصن بابليون .[2]

٤- فتح حصن بابليون :

قضى المسلمون بضعة أشهر فى حصار هذا الحصن ، وحاول المقوقس أن يصل إلى حل مع المسلمين ، ولم يكن لدى المسلمين إلا إحدى خصال ثلاث ؛ الإسلام أو الجزية أو القتال .

وواصل المسلمون حصار الحصن ، وتقدم الزبير رضى الله ووضع سلما على جانب من جوانبه ، وصعد إلى أعلى الحصن ، وتبعه جماعة من المسلمين وكبروا جميعا ، وألقى الله تعالى فى قلوب الروم الرعب، وظنوا أن المسلمين اقتحموا الحصن ، وبادروا إلى الاستسلام ، ووافقوا على دفع الجزية [3] ، وقد اشترط عليهم المقوقس شرطين :

---

[1] ابن عبد الحكم : فتوح مصر مصدر سبق صـ٦١ والنويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب مصدر سبق جـ١٩ صـ ٢٨٩ .

[2] النويرى المصدر السابق صـ ٢٨٨ ، شلبى : د. أحمد موسوعة : د. أحمد موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية مكتبة النهضة المصرية ١٩٨١ م جـ١ صـ ٥٩١ .

[3] ابن عبد الحكيم : فتوح مصر مصدر سابق من صـ٦١ - ٦٣ .

الأول : ترك حرية الاختيار للروم فى مصر بين قبول شروط الصلح أو الخروج من مصر .

الثانى : أن تكون الكلمة الأخيرة فى هذا الصلح للامبراطور ؛ فإن رفضوا كانوا جميعا إلى ما كانوا عليه من قتال .

أما الاقباط فيدفعون الجزية وشرط عليهم تأمين الجسور للمسلمين وإقامة الأنزال لهم . وكان عمرو فى حاجة إلى ذلك وهو فى طريقه إلى الأسكندرية [1] .

٥- فتح الأسكندرية :

اتجه عمرو إلى الأسكندرية وكانت عاصمة مصر ، وهى مدينة بحرية حصينة ، وهيأ لها البحر سبل الاتصال بالروم ، والحصول على ما تحتاج إليه من مؤن وعتاد ، مما جعلها قادرة على الصمود لفترات طويلة .

وقد ساعدت الظروف السيئة التى مرت بها بيزنطة بعد موت هرقل سنة ٢٠هـ / ٦٤١ م ، المسلمين على فتح الأسكندرية فى وقت اشتد حصارهم لها ، وعقد المقوقس اتفاقا ثانيا مع عمرو ، عرف باسم صلح الأسكندرية سنة ٢١هـ / ٦٤١ م ، وشروط هذا الصلح :

١- أن يدفع كل فرد يدخل فى هذة المعاهدة جزية قدرها ديناران .

٢- ألا يعود الروم إلى استرداد مصر .

٣- ألا يتعرض المسلمون للكنائس بسوء .

---

[1] المصدر السابق من صـ٦٥ - صـ٧٣ .

٤- السماح ببقاء اليهود فى المدينة .

٥- تكون هناك هدنة مدتها أحد عشر شهرا يجلو خلالها الروم ومعهم أموالهم وعتادهم .[١]

٦- إكمال عمرو بن العاص سيطرته على جميع أنحاء مصر :

توغل عمرو فى وسط الدلتا حتى مدينة منوف الحالية ، كما استولى على دمنهور وسخا،أثناء حصاره للأسكندرية،ولم ينته عام ٢٥هـ/ ٦٤٥ م ، حتى صارت مصر بأكملها فى أيدى المسلمين ، وأرادعمر أن يؤمن حدود مصر الغربية والجنوبية ، فقام بفتح برقة غربا ، وعقد اتفاقية البقط مع النوبة فى الجنوب .[٢]

٧- فتح الأسكندرية للمرة الثانية بعد استيلاء الروم عليها :

بعد استقرار أوضاع الامبراطورية البيزنطية بادرت بإرسال حملة بقيادة (عمانويل) القائد البارع سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م ، ونجحت الحملة فى الإستيلاء على الأسكندرية ، وتوغلت فى الدلتا حتى اقتربت من حصن بابليون . وقاد عمرو بن العاص القوات الإسلامية – مرة أخرى – لطرد الروم ، وأحرز النصر عليهم واضطرهم إلى التحصن بالأسكندرية ، وتمكن عمرو من فتحها بعد جهود مضنية سنة ٢٦هـ / ٦٤٦ م ، وثبتت بذلك دعائم الفتح الإسلامى لمصر .[٣]

---

(١) الواقدى : أبو عبد الله محمد بن عمر فتوح الشام مطبعة الحلبى القاهرة ١٩٥٤ م جـ٢ ض
صـ٤٥ وما بعدها ، بتلر : فتح العرب لمصر المرجع السابق جـ١ صـ٢٧٧ ، ص٢٧٨ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر مصدر سبق من صـ ١٧٠ – صـ ١٨٩ ، البلاذرى : فتوح البلدان مصدر سبق من صـ ٢٢١ – صـ ٢٢٥ .

(٣) المصدر السابق صـ ١٨٠ وما بعدها ، بتلر : فتح العرب لمصر مرجع تقدم جـ٢ صـ٤٠٩

هل فتحت مصر عنوة أو فتحت بصلح وعهد ؟

خلاف بين المؤرخين ، فبعضهم يرى أنها فتحت عنوة ، وبعضهم يرى أنها فتحت بصلح وعهد ، وبعضهم فصل القول ، فقال إن بعضها فتح عنوة ، وبعضها فتح صلحا . [1]

ثالثا : *موقف القبط من الفتح الإسلامى حسب رواية أهم المصادر* :

ذكر ابن عبد الحكم فى كتابة فتوح مصر والمغرب والأندلس ، (أنه لما تقدم عمرو بن العاص لفتح الفرما ، كان بالأسكندرية أسقف للقبط ، يقال له أبو ميامين (هو بنيامين) فلما بلغه قدوم عمرو ، كتب للقبط يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة ، وأن ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقى عمرو ، فيقال : إن القبط الذين كانوا بالفرما ، كانوا يومئذ أعوانا لعمرو) .[2]

وقد نقل بعض المؤرخين من بعده عنه هذة الرواية ، ومنهم النويرى فى كتابة نهاية الأرب ، [3] وابن تغرى بردى فى كتابة النجوم الزاهرة ، [4] والسيوطى فى كتابه حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة.[5]

---

[1] البلاذرى : فتوح البلدان مصدر سبق من صـ ٢١٦ – صـ ٢٢٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١ صـ١٩ ، صـ٢٠

[2] من صـ ٥٣ – صـ٦٠

[3] مصدر تقدم جـ١٩ صـ ٢٨٨

[4] مصدر تقدم جـ١ صـ٧

[5] مصدر تقدم جـ١ صـ ١٠٧ .

كما ذكر ابن عبد الحكم : (أن عمرو بن العاص حين خرج من حصن بابليون ، وكان معه جماعة من رؤساء القبط ؛ أصلحوا للمسلمين الطرق ، وأصلحوا لهم الجسور والأسواق ، قاصدين الأسكندرية ، وصار القبط لهم أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم)[١]ونقل النويرى عنه ذلك[٢] والسيوطى [٣]

كما ذكر ابن عبد الحكم أن بعض قرى من مصرالسفلى ظاهرت الروم على المسلمين هى سلطيس ومصيل وبلهيب والخيس وقرسطا وسخا .[٤]

وذكر البلاذرى " أن القبط كانوا مع الروم ضد الفاتحين المسلمين فى مصر السفلى وقالوا نهاجم المسلمين قبل أن يهاجمونا ويقصدوا الأسكندرية فلقيهم عمرو بالكريون فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وكان فيهم من أهل سخا وبلهيب والخيس وسلطيس وغيرهم قوم رفدوهم وأعانوهم " [٥]

كما ذكر البلاذرى عند فتح الأسكندرية " أن عمرا وجد أهلها قد اعدوا له ، إلا أن القبط فى ذلك يحبون الموادعة ".[٦]

أما (حنا النقيوسى) وهو من رجال الدين الاقباط وكتب كتابا عن تاريخ العالم فى أواخر القرن السابع الميلادى ،

---

(١) فتوح مصر والمغرب والأندلس مصدر سبق جـ١ صـ١١٩ .
(٢) نهاية الأرب جـ١٩ صـ ٣٠١ .
(٣) حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة مصدر سبق جـ١ صـ١١٩
(٤) فتوح مصر والمغرب والأندلس صـ٨٢ ، صـ ٨٣ .
(٥) فتوح البلدان مصدر سبق صـ٢٢٢
(٦) المصدر السابق .

وهو بذلك أقرب المؤرخين الذين عاشوا على أرض مصر عهدا بالفتح الإسلامى [١] غير أن كتاباته يغلب عليها التعصب والتحيز ضد المسلمين ، ولذلك أخرنا الأخذ عنه ، فقد ذكر فتح المسلمين للفيوم ، وقال : " وأخذ الناس يساعدون المسلمين " [٢] وهذا القول يحتمل أن تكون بداية مساعدة القبط للمسلمين بعد فتح الفيوم ، كما أنه من المحتمل أن تكون قد بدأت قبل ذلك ، ويلاحظ أن هناك جزءا مفقودا من كتاب (حنا النقيوسى) وهذا الجزء المفقود من تولية (هرقل) سنة ٦١٠م إلى بلوغ العرب حصن بابليون . وذكر (حنا النقيوسى) أن العرب لقوا مساعدة فى حصار حصن بابليون من جماعة لعلهم من أهل لفيوم بعد فتحها [٣] .

وذكر أن حرس مدينة سمنود – وهم من الأقباط أو بعضهم على الأقل – رفضوا اتباع الروم فى قتال العرب ، وكان ضمن جيش المسلمين الذى حارب الروم بالقرب من سمنود ، بعض القبط الذين أسلموا . [٤]

وأشار (حنا النقيوسى) فى أكثر من موضع فى كتابه إلى أن أقباط مصر كانوا يهاجمون جند الروم ويجردونهم من أسلحتهم ، ثم يسلمونهم لخصومهم من العرب .[٥]

---

[١] بتلر : فتح العرب لمصر المقدمة صـ٢٤

[٢] المصدر السابق جـ١ صـ٢٠٧ نقلا عن كتاب حنا المترجم إلى الإنجليزية الفصل (٦٣) الصفحة (٥٥٩) .

[٣] المصدر السابق جـ١ ص ٢٣٢ نقلا عن كتاب حنا السابق ص ٥٦٨ .

[٤] بتلر : فتح العرب لمصر جـ ١ صـ ٣٤ ، نقلا عن كتاب حنا السابق .

[٥] الرافعى وعاشور : مصر فى العصور الوسطى صـ٢٥ نقلا عن ترجمة زوتنبرج الفرنسية لكتاب حنا النقيوسى صـ٥٧٠ .

رابعا : *مظاهر ترحيب الاقباط بالمسلمين الفاتحين* :

من دراسة المصادر اتضح اتفاق معظم هذة المصادر على أن الأقباط رحبوا بالفاتحين المسلمين ، وكانت، مظاهر ترحيب الأقباط بالعرب متنوعة ، وتمثلت فى أمور ثلاثة :

الأمر الأول : مساعدات مدنية كإقامة الجسور وإصلاح الطرق وإقامة الأسواق واستضافة المقاتلين المسلمين . [1]

الأمر الثانى : مساعدات عسكرية على الرغم من أن الأقباط لم يكونوا فى شئ من القتال والجيوش – بصفة عامة –[2] فإن قلة قليلة منهم ، استعانت بهم الروم فى الأمور العسكرية ، كحراسة المدن والقرى ، كما كونت من بعضهم كتيبة عرفت (بالحرس الوطنى) ، كانت ضمن الجيش البيزنطى فى مصر .[3]

وقد تمثلت معونة الأقباط فى الناحية العسكرية فيما يلى :

أ- تمرد بعض الجند منهم – وبخاصة من كانوا فى حراسة المدن – على طاعة أوامر قادتهم الروم ، ورفضهم الانضمام إلى القائد البيزنطى (تيودور) فى حرب المسلمين، وكان ذلك أثناء حصار المسلمين

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب والأندلس مصدر سابق صـ٦٦ .
(٢) بتلر : فتح العرب لمصر جـ١ ص ٢٢٠ .
(٣) المرجع السابق صـ٢٣٤ ، صـ٢٣٥ ،صـ٢٤١ ، كاشف : د. سيدة إسماعيل مصر فى فجر الإسلام . دار الفكر العربى القاهرة ١٩٤٧م صـ١٠ .

لحصن بابليون ، وأورد ذلك حنا النقيوسى فى كتابه ، [1] الذى حوى تفاصيل دقيقة لفتح المسلمين لمصر .

ب- ما أشار غليه حنا النقيوسى - أيضا - فى أكثر من موضع من كتابه ، من أن أقباط مصر كانوا يهاجمون جند الروم ، ويجردونهم من اسلحتهم ثم يسلمونهم لخصومهم من العرب [2]

جـ- وكان قمة ما وصلت إليه معونة الاقباط العسكرية للفاتحين المسلمين المساعدة فى بعض الأعمال العسكرية ضد البيزنطيين ، كما حدث من بعض الاقباط - ولعلهم من الفيوم - أثناء حصار المسلمين لحصن بابليون فقد كانوا يعبرون النيل إلى جزيرة الروضة وينهبون ، كما كانوا يغيرون على سفن الروم أثناء عبورها إلى الحصن ، وكان لذلك تأثيره السيئ على الروم داخل الحصن .[3]

الأمر الثالث : دخول بعض القبط فى الإسلام ، وذلك أعلى مراتب الترحيب بالفاتحين المسلمين ، وكان القبط الداخلون فى الإسلام من أشد الناس حماسا لدينهم الجديد .[4] وانضموا لإخوانهم المسلمين فى حرب الروم ، كما حدث فى المعركة التى جرت على مقربة من سمنود فى فترة حصار حصن بابليون ، فقد ذكر

(حنا النقيوسى) ، أنه كان ضمن الجيش الإسلامى ، هؤلاء الذين أسلموا من النصارى . [5]

---

[1] بلتر : فتح العرب لمصر جـ١ صـ ٢٣٤ .

[2] الرافعى وعاشور : مصر فى العصور الوسطى صـ ٢٥ نقلا عن ترجمة (زوتنبرج) الفرنسية لكتاب حنا النقيوسى صـ٥٧٠ .

[3] بتلر : فتح العرب لمصر جـ١ صـ٢٣٢ نقلا عن كتاب حنا النقيوسى صـ ٥٦٨ .

[4] المصدر السابق صـ ٢٤٣ نقلا عن كتاب حنا النقيوسى صـ ٥٦٠ .

[5] بتلر فتح العرب لمصر صـ٢٣٤

المبحث الاول

عرض الاتجاهات الحديثة حول موقف الأقباط من الفتح الإسلامى

المبحث الاول

عرض الاتجاهات الحديثة حول موقف الأقباط من الفتح الإسلامى

✍ **علينا قبل هذا العرض أن نضع نصب أعيننا أمرين مختلفين :**

الأول : موقف الأقباط من جهود الإمبراطورية البيزنطية فى الدفاع عن مصر ضد الفتح الإسلامى .

الثانى : موقف الأقباط من الفاتحين المسلمين .

والحقيقة أن الأمرين متداخلان على الرغم من اختلافهما ولا يمكن فصل أحدهما – تماما – عن الآخر ، وكانت اتجاهات المؤرخين المحدثين فى هذا الموضوع كالتالى :

١– فريق يرى أن الأقباط وقفوا موقفا سلبيا من جهود الإمبراطورية البيزنطية فى الدفاع عن مصر ضد الفتح العربى ، وذلك لأنهم كرهوا الحكم البيزنطى ، بسبب الاضطهاد المذهبى والمبالغة فى فرض الضرائب وزيادتها وسوء الإدارة .

ويرى هذا الفريق أن الأقباط فى نفس الوقت قدموا العون للعرب منذ بداية الفتح ، لما توسموه من عدالة المسلمين ورحمتهم ورغبة فى التخلص من الحكم البيزنطى ، ولما كانت تربطهم بهؤلاء العرب من روابط

ومن هذا الفريق الدكتور حسن إبراهيم حسن[١] والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور[٢] والدكتور إبراهيم أحمد العدوى [٣] وسير توماس آرنولد [٤] والدكتور جوزيف نسيم يوسف [٥] والدكتور قاسم عبده قاسم [٦] .

٢- فريق يرى أن الأقباط وقفوا موقفا حياديا إزاء الصراع بين المسلمين والروم،واعتزلوا الروم والعرب،أما الروم فلحكمهم السيئ وظلمهم، وأما العرب لأنهم - فى رأى هذا الفريق - غرباء عنهم ولا يعرفون عنهم ما يدفعهم إلى معونتهم ، هذا فضلا عن اختلاف الدين .

وقد انقسم هذا الفريق إلى قسمين :

أ- القسم الأول يرى أن الحياد كان دائما واستمر إلى تمام الفتح سنة ٦٤٢هـ / ٢٢هـ ويتزعم هذا القسم الدكتور ألفريد بتلر المستشرق الإنجليزى [٧] .

ب- القسم الثانى يرى أن هذا الحياد كان مؤقتا انتهى بفتح الفيوم أو بصلح بابليون سنة ٦٤١ هـ / ٢١ هـ عندما لمس الأقباط شيئا من عدالة هؤلاء الفاتحين ورحمتهم ،ومن هذا الفريق الدكتور على إبراهيم حسن[٨] والدكتور جاك تاجر [٩] .

---

[١] حسن : د حسن إبراهيم تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى مكتبة النهضة البقاهرة ١٩٧٩ م جـ ١ صـ ٢٣٨ .

[٢] الرافعى وعاشور مصر فى العصور الوسطى مرجع سابق صـ٢٤ ، صـ٢٥ .

[٣] العدوى : مصر الإسلامية ، مرجع سابق صـ١٨ .

[٤] آرنولد : الدعوة إلى الإسلام ترجمة د . حسن إبراهيم حسن وآخرين القاهرة ١٩٤٧ م صـ١٣٣ .

[٥] يوسف : تاريخ الدولة البيزنطية مرجع سابق صـ١٠٩ .

[٦] قاسم : د. قاسم عبده أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى دار المعارف القاهرة ١٩٧٩ م صـ ٣١ .

[٧] يتضح ذلك فى ثنايا كتابه (فتح العرب لمصر) وسيأتى مزيد من التفاصيل عن ذلك .

[٨] حسن : على إبراهيم مصر فى العصور الوسطى صـ ٣٢ الطبع الثانية .

[٩] تاجر : أقباط مسلمون مرجع تقدم ٤٦.

٣- وهناك اتجاه ثالث للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف يمكن أن يضاف إلى الإتجاهين السابقين ، ويرى هذا الاتجاه " أن فريقا من الأقباط ساعد الجيش العربى فى العمليات الحربية ضد البيزنطيين ، ووقف فريق آخر موقف الحياد ؛ لأنهم يعرفون أن مساعدتهم للعرب معناها انتقالهم من تبعية إلى تبعية أخرى ، ولم يكن هذا الفريق فى موقف يستطيع معه طرد البيزنطيين والعرب جميعا ، وهناك أقلية من الشعب المصرى حاربت فى صفوف البيزنطيين ، ظنا منها بأن النصر سيكون حتما للبيزنطيين وليس للعرب " (١) .

ويرى البحث أن هذه الأقلية هى من عملاء الروم ، أو من الذين تمكن البيزنطيون من إدخالهم مذهبهم الدينى أو ارتبطت مصالحهم بهؤلاء البيزنطيين ، وقد ذكر (بتلر) أن أقباط مصر السفلى وبابليون والأسكندرية اضطروا إلى الدخول فى مذهب الدولة ، وكان عددهم يقدر بالألوف (٢) ، وإن كانوا مع ذلك - كما يرى البحث - أقلية بالنسبة للأغلبية العظمى من الأقباط الذين حافظوا على مذهبهم الدينى .

كما ذكر (بتلر) " أنه كان بمصر السفلى حزبان ؛ حزب مع الروم ، وحزب يريد أن يتفق مع العرب ، وكان قائد الحزب الأول قبطيا أو يميل إلى القبط " (٣)

والذى يميل إليه البحث أن الغالبية العظمى من الأقباط ، رحبوا بالفاتحين المسلمين وقدموا لهم العون ، أما من وقف منهم على الحياد ، أو انضم إلى البيزنطيين ، فعدد قليل ، واستثناء من القاعدة العامة .

---

(١) كاشف : د. سيدة مصر فى عصر الولاة مرجع تقدم صـ٢١ .
(٢) بتلر : فتح العرب لمصر جـ١ صـ . ٢٢ ، جـ٢ صـ ٣٨٤
(٣) المرجع السابق جـ١ صـ ٢٤٩ ، صـ ٢٦٩ حاشية رقم (١)

المبحث الثانى

قضية جياد الأقباط بتجاه الفتح الإسلامى

أولا :

مناقشة حجج من قال بجياد الاقباط .

ثانيا :

التشكيك فى ترحيب الاقباط بالمسلمين

أو استغلاله استغلالا سيئا .

ثالثا :

الدفاع عن موقف الاقباط من الفاتحين .

المبحث الثانى

قضية حياد الأقباط تجاه الفتح الإسلامى

أولا : *مناقشة حجج من قال بحياد الاقباط :*

إن القول بحياد الأقباط إزاء المعارك الإسلامية البيزنطية على أرض مصر ، أو القول بعدم ترحيبهم بالفاتحين المسلمين ، لم يظهر إلا حديثا ، فالمصادر التاريخية تكاد تجمع على ترحيب الأقباط بالمسلمين ومساعدتهم ، وقد اختار البحث اثنين من المؤرخين المعاصرين البارزين ، ممن قالوا بحياد الأقباط ؛ ليعرض آراءهما وحججهما – بكل حيدة ونزاهة وأمانة علمية ، فى محاولة للوصول إلى الصواب فى هذه القضية :

الأول : المستشرق الانجليزى الدكتور (ألفريد بتلر) الذى قال بحياد الأقباط حيادا دائما إلى تمام الفتح ، وعدم ترحيبهم بالعرب ، وكتابه (فتح العرب لمصر) من أوسع ما كتب المستشرقون عن فتح مصر انتشارا .

الثانى : الدكتور (جاك تاجر) وهو يمثل الاتجاه القائل بحياد الأقباط حيادا مؤقتا ، وكتابه (أقباط ومسلمون) أثار جدلا كبيرا لما حواه من أفكار متطرفة ، وتولى الغيورون من المسلمين الرد عليه .[1]

---

[1] فى سنة ١٩٥٢ م وهى السنة التالية مباشرة لظهور الكتاب ، أصدرت لجنة من هيئة كبار العلماء برياسة الشيخ حسنين مخلوف تقريرا عن هذا الكتاب رد على ما فيه من باطل .

رأى الدكتور ألفريد بتلر :

يرى أنه من الخطأ الشائع أن الأقباط رحبوا بالفاتحين العرب لمصـر، ورأوا فيهم الخلاص والنجاة مما هـم فيـه ، أو سـاعدوهم فـى هـذا الفتـح [1] ، وإنما كان الترحيب والمساعدة عند الفتح الثانى لمدينـة الأسكندرية - أى بعد تمام الفتح الأول بثلاث سنوات تقريبا ، ويسـوق بعـض الأدلـة علـى ذلـك مـن خلال كتابه الذى خصصه للحديث عن فتح العرب لمصر .

أدلة بتلر :

١- أن العرب والروم كانوا فى نظر الأقباط غرباء وأعداء مكروهين [2]

٢- أنه لم يرد ذكر لمساعدة القبط للعرب قبل القرن الرابع عشر الميلادى[3]

٣- عندما قام عمرو بن العاص بجولـة عسكرية فـى مصـر السـفلى - أثنـاء حصاره حصن بابليون-عجز عن فتح بعض المدن ، وقاومه أهلها .[4]

٤- بعد فتح الأسكندرية سنة ٢١هـ / ٦٤١هـ ، قاومت بعض البلاد فى مصر السفلى العرب نحو عام آخر .[5]

---

[1] بتلر : فتح العرب لمصر مرجع سابق جـ١ صـ٢٥٩ ، جـ٢ صـ٣٠٩

[2] بتلر : فتح العرب لمصر صـ٢٢١

[3] المرجع السابق صـ ١٨٧

[4] المرجع السابق جـ١ ص٢٥٨ ، ص٢٥٩

[5] المرجع السابق جـ٢ صـ٣٠٩

٥- أن عمرو بن العاص كان يعامل القبط بالشدة ، قبل فتح الاسكندرية وبعدها ، كما ذهب إلى ذلك المؤرخ الذى عاش قريبا من هذه الأحداث (حنا النقيوسى) ، ولو كان هناك ترحيب من الأقباط ما عاملهم عمرو هذه المعاملة ، ولو سلمنا بما قاله المتأخرون من المؤرخين العرب ، من ترحيب القبط بالعرب لكان معنى ذلك وصف عمرو بالجحود ، ومجازاة الإحسان بالإساءة .[١]

٦- بقاء البطريرك بنيامين فى مخبئة مدة ثلاث سنوات بعد انتصار العرب حتى جاءه أمان عمرو "ولو صح أن القبط رحبوا بالعرب لكان ذلك عن أمر بطريقهم أو رضائهم ، ولو رضى بنيامين بمثل هذه المساعدة وأقرها ، لما بقى فى منفاه ثلاث سنوات بعد تمام النصر للعرب ، ثم لا يعود إلا بعهد وأمان لا شرط فيه " [٢]

٧- عندما عاد الروم مرة أخرى إلى الأسكندرية سنة ٢٥هـ/ ٦٤٥م ، لم يميز قواد العرب بين قبطى ورومى " بل ظنوا أن الفئتين معا إلب على قتالهم ، وهذا يدل على أنه لم يكن ثمت ما يدعو إلى محبة القبط لهم، ولا حيادهم فى قتال الروم ، ولو صح أن القبط رحبوا بالعرب عند أول مجيئهم إلى مصر، ورأوا فيهم الخلاص ، لركن قواد العرب إلى ولاء القبط ومحبتهم ، ولتوقعوا منهم الود والمساعدة .[٣]

---

(١) المرجع السابق جـ٢ صـ٣١٥
(٢) بتلر : فتح العرب لمصر جـ٢ ص ٣٨٤
(٣) المرجع السابق جـ٢ صـ٤١١

قراءة فى منهج بتلر واتجاهاته :

قبل الرد على حجج بتلر ، نتعرف على منهج بتلر فى بحثه التاريخى واتجاهاته ، فذلك مما يسهل مهمة الرد عليه ، وقد تكفل بتلر بتوضيح منهجه فى البحث فى مقدمة كتابه فتح العرب لمصر ، فذكر أن الكتاب الغربيين كتبوا عن تاريخ مصر ، وهذه الكتابات على أهميتها ، لا يجب الاعتماد عليها وحدها ، ولابد من الرجوع إلى المصادر ، والمصادر اليونانية أو البيزنطية ، مخيبة للظن لأنها تخلط بين الحوادث وتختلق بعضها ، والمصادر الأرمنية لا فائدة منها ؛ لأنه ليس فيها ما يتعلق بالفتح، أو ما ذكر عنه أقل القليل .

أما المصادر المصرية ، ففى المقدمة منها ما كتبه (حنا النقيوسى)، ثم ما كتبه الواقدى والبلاذرى وابن عبد الحكم وابن قتيبة ، وسعيد بن بطريق (أوتيكيوس) بطريرك الملكانين فى مصر ، و(ساوريرس) (ابن المقفع) أسقف الأشمونين القبطى ، إلى آخر ما ذكر من مؤرخين مسلمين ونصارى .[1]

وعند تطبيق هذا المنهج ، نجد أن اعتماده الأعظم ، كان على كتاب (حنا النقيوسى) ، وهو أسقف قبطى ، ولد حوالى زمن الفتح الإسلامى لمصر ، وخط كتابه فى أواخر القرن السابع الميلادى ، أى بعد الفتح بخمسين عاما [2]

---

(1) بتلر : فتح العرب لمصر المقدمة من صـ ٢٢ - صـ ٣٦

(2) المرجع السابق مقدمة المؤلف صـ٢٤ وذكر بتلر أن جزءا من كتاب (حنا) كتب باللغة القبطية ، وجزءا آخر كتب باللغة اليونانية ، ويظهر أنه نقل إلى العربية فى زمن متقدم جدا ، وعلى أساس تلك الترجمة العربية ، وجدت ترجمة أثيوبية وهى النسخة الوحيدة الباقية من كتاب حنا ، وقد ترجمت إلى الانجليزية ، وقد ضاعت من الكتاب الفترة من تولية هرقل إلى بلوغ العرب حصن بابليون .

وكان حجته فى الاعتماد على (حنا النقيوسى) ، أنه يفصله عن الكتاب العرب نحو قرنين من الزمان ، ولم يدرك أن الكتاب العرب – على الرغم من هذا الفاصل الزمنى – كانوا يحتاطون لرواياتهم المنقولة من أن يتطرق إليها اختلاق أو كذب ، غاية الاحتياط من جهة السند والمتن – كما ذكر المؤرخ (محمد عبد الله عنان) – ويتناقلونها جيلا عن جيل ، مع ما وهبهم الله – تعالى – من ذاكرة حافظة ، وبراعة فى الرواية ، وكانت الرواية المتعلقة بالفتح ما تزال حية فى صدور الرواة والمحدثين ، فكان تدوينها يومئذ أقرب إلى التحقيق والضبط .[1]

وعندما نقل بتلر عن مؤرخين مسلمين ، اتجه إلى مؤرخين من القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى (التاسع والعاشر الهجريين) كابن خلدون والمقريزى وأبى المحاسن والسيوطى ، وترك مؤرخين متقدمين من القرن الثالث الهجرى وما بعده كالبلاذرى وابن عبد الحكم وابن قتيبة ، أو لم يهتم بهم الاهتمام الكافى ، ولقد كان عدم اعتماده اعتمادا كبيرا على مؤرخ كابن عبد الحكم فى كتابه فتوح مصر والمغرب والأندلس – الذى يعد حجة فى فتوح مصر – من الأمور التى أفقدت كتاب بتلر توازنه العلمى ، وكان تبرير بتلر – غير المقنع – أن كتاب ابن عبد الحكم يختلط فيه قصص الخيال بأخبار التاريخ .[2]

---

[1] عنان : محمد عبد الله مؤرخو مصر والاسلامية ومصادر التاريخ الاسلامى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٠٩م صـ٧ .

[2] بتلر : فتح العرب لمصر جـ١ المقدمة صـ٢٧ .

وكان (حنا النقيوسى) الذى اعتمد عليه بتلر من رجال الدين المتعصبين ضد الاسلام والمسلمين ، وقد اعترف بتلر – نفسه – بهذه الحقيقة ، حيث ذكر فى مجال الحديث عن عدالة عمرو بن العاص ، أن "حنا النقيوسى " لا يتورع عن أن يصف الاسلام بأشنع الصفات ، ويتهم من دخلوا فيه بأشد التهم ، ولكنه يقول فى عمرو بن العاص إنه (قد تشدد فى جباية الضرائب التى وقع الاتفاق عليها ، ولكنه لم يضع يده على شئ من ملك الكنائس ولم يرتكب شيئا من النهب أو الغصب ، بل إنه حفظ الكنائس وحماها إلى آخر مدة حياته) " [1]

لذلك فما يرويه – فى الغالب – متأثر بهذه النفس المتعصبة ، ولا يركن إليه كثيرا .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ما وقع فيه (بتلر) من خطأ وخلط يرجع – كذلك – إلى بتلر – نفسه – فهو لم يخل من النظرة المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين ، وأول ما يلفت النظر ، أنه جعل عنوان كتابه فتح العرب لمصر ، وليس فتح المسلمين ، وهو بذلك يستبعد الهدف الدينى من هذا الفتح ، ويؤكد الناحية العنصرية ، وهناك فى هذا الكتاب عبارات تدل – صراحة – على تعصبه للمسيحية وتحامله على الإسلام والمسلمين ، ومن ذلك قوله " إنه لما يشرف القبط أننا لا نجد أقل دليل يبعثنا على الظن أنهم نظروا إلى تلك

---

[1] المرجع السابق جـ٢ صـ٣٩٦ ،صـ٣٨٧ .

الحركة – يقصد الدعوة الإسلامية – نظرة الميل والرضا " وقوله " لاشك فى أنهم قد كرهوا الإسلام " [١]

ومن العبارات قوله : " وكان المسلمون قد جاءوا إلى مصر راغبين فى القتال واثقين فى شجاتهم وحسن بلائهم فى الحروب " [٢] ولا يذكر أنهم جاءوا لنشرة دعوة الإسلام راغبين فى الشهادة ابتغاء وجه الله ، وكأن الرغبة فى القتال هى وحدها السبب فى مجيئهم .

وقد بلغ من تعصبه ضد المسلمين ، وتعصبه – أيضا – لرأيه فى موقف الأقباط من الفتح الاسلامى ، أنه لم ينقل عن (حنا النقيوسى) الذى اعتبر كتابه ، نورا كبيرا لا عهد للناس به على تاريخ فتح العرب لمصر، [٣] بعض الروايات ، لأنها تهدم فكرته عن عدم ترحيب القبط بالفاتحين العرب ، فقد ذكرت بعض المراجع ، أن (حنا) أورد فى كتابه – وفى أكثر من موضع – أن أقباط مصر كانوا يهاجمون جند الروم ، ويجردونهم من أسلحتهم ، ويسلمونهم لخصومهم العرب ، [٤] ولم يرد لذلك ذكر فى كتابه .

ومن تعصبه – أيضا – لرأيه أنه إذا اضطر لذكر نص صريح على لسان (حنا النقيوسى) يخالف هذا الرأى ، وصفه بالغموض أو اضطراب العبارات أو أوله تأويلا يخدم رأيه .[٥]

---

[١] بتلر : فتح العرب لمصر جـ١ صـ١٧

[٢] المرجع السابق صـ١٩٢

[٣] المرجع السابق جـ٢ صـ ٤٧١

[٤] الرافعى وعاشور مصر فى العصور الوسطى مرجع تقدم صـ٢٥ نقلا عن :
Zotenberg : Chroniqye de Jean eveque de Nikiou , P. 570

[٥] من ذلك قول (حنا) عند فتح المسلمين لمصر السفلى " وأخذ الناس يساعدون المسلمين " فقد علق عليها بتلر بأنها مساعدة محدودة ومعينة لغرض خاص ولم تكن عامة ، ومن ذلك ما رواه حنا من رفض الحراس فى مدينة سمنود الانضمام إلى الروم فى قتال العرب ، فقد ادعى اضطراب هذه الرواية . بتلر فتح العرب لمصر جـ١ صـ٢٠٧ ، ص٢٣٤ .

وهناك جانب فى بتلر أبانت عنه الدراسة، وهو النزعة الإستعمارية، والترويج للاستعمار الانجليزى لمصر ، ولاعجب فى ذلك ، فكثير من المستشرقين من أمثاله ، كانوا فى خدمة الدول الاستعمارية ، وبالرغم من حرصهم على إخفاء ذلك عن قرائهم - ومعظمهم من العرب والمسلمين - حتى يحظوا لديهم بالرضا والقبول ، فإن ألسنتهم كانت تخونهم فى بعض الأحيان .

والعبارة التى ندت من عقل بتلر إلى كتابه ، وأظهرت هذا الجانب من شخصيته ، كانت تمجيدا للاحتلال الإنجليزى لمصر ، فقد خط كتابه هذا سنة ١٩٠٢م فى وقت كان فيه أبناء جلدته يحتلون مصر ، وذلك عند حديثه عن حصن بابليون ، وأنه احتفظ بأسواره عبر عصور التاريخ ، وقال : " ولكنه خرب تخريبا يرثى له منذ احتلال الإنجليز لمصر ، إذ شعر أهله عند ذلك بالاطمئنان والأمن . فقد أصبح الأمر مستقرا لا حاجة معه إلى الأسوار المنيعة " (١)

وأهمية اكتشاف هذا الجانب من شخصية بتلر ، للدراسة التى نحن بصددها ، أنها تلقى أضواء كاشفة ، تتعرف من خلالها على ما يمكن أن يكون الهدف من تأليفه هذا الكتاب - فتح العرب لمصر - وتقوى احتمال أن يكون إخراجه فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ مصر ، إنما كان خدمة جليلة للمستعمرين الذين حاولوا التفريق بين المسلمين والمسيحيين ؛ ليدوم لهم احتلال مصر ، تماشيا مع سياسة فرق تسد .

---

(١) المرجع السابق جـ١ صـ٢٠٩ .

الرد على حجج بتلر :

١- القول بأن العرب والروم كانوا فى نظر الأقباط غرباء مكروهين ، ليس صحيحا ؛ فهذا الوصفان إن صدقا على الروم ، فإنهما لا يصدقان على العرب ، فهم ليسوا بغرباء على القبط ، فالتقارب الجنسى ، وصلات المجاورة والمصاهرة والعلاقات الدينية والتجارية قائمة بينهما - وقد مر توضيح ذلك عند الحديث عن العرب والقبط قبل الفتح الاسلامى - ولا بأس أن نذكر هنا - مرة أخرى - ما أورده بعض المؤرخين من أن الجنود الذين فتح بهم كسرى مصر سنة ٦١٦م كان بعضهم من العرب ، وكان هؤلاء يمتون إلى الفلاح المصرى بصلات الدم والود ، وهذا هو السبب فى ميل البلاد كلها إلى التسليم بعد هزيمة الروم .[١]

ثم إنه ليست هناك دواع للكراهية بين العرب والأقباط ، بل على النقيض من ذلك ، هناك ما يدعو إلى المودة والمحبة ، فبالاضافة إلى الصلات والعلاقات التى سبق الحديث عنها ، كانت معاملة العرب للأقباط عند الفتح معاملة كريمة ولم يكن اختلاف الدين موجبا للكراهية ، بل نقل أحد المؤرخين الأقباط المحدثين ، فى معرض حديثه عن ترحيب الأقباط بالعرب عن المستشرق ستيفن رانسيمان قوله : " إنهم - أى الأقباط - اعتبروا الإسلام أقرب إلى مبادئهم ومعتقداتهم من تعاليم مجمع خلقيدونيه المسكونى " [٢]

---

[١] أورد ذلك (بتلر) نقلا عن ثلاثة من المؤرخين هم (شارب) فى كتابه تاريخ مصر ، و(ملن) فى كتابه مصر تحت حكم الروم ، و(بوتشر) فى كتابها قصة الكنيسة المصرية . وإن كان لم يوافق على رأيهم . فتح العرب لمصر جـ١ صـ٧٣

[٢] مجمع خلقيدونيه هو المجمع المسكونى الرابع ، وعلى تعاليمه قام المذهب الملكانى - مذهب الروم - القائل بطبيعتين للسيد المسيح عليها لسلام ، وانفصل عنه المذهب

ومن جهة أخرى ، لم يفرض المسلمون دينهم على الأقبـاط ، وتركـوا لهم الحرية فى البقاء على المسيحية أو الدخول فى الإسلام .

٢- أما إنه لم يرد ذكر لمساعدة الأقباط للعرب فـى كتـب التـاريخ قبـل القـرن الرابع عشر الميلادى (الثامن الهجرى)، فهذا قول مردود؛ فقد ذكر ابن عبد الحكم وهو من مؤرخى القرن التاسع الميلادى (الثـالث الهجـرى)، مساعدة الأقباط منذ حصار الفرما ، بل إن(حنا النقيوسى) الـذى اعتمـد عليـه بتـلر كثـيرا ، ذكـر مسـاعدة القبـط للعـرب قبـل الفتـح الثـانى للأسكندرية[١] .

٣- أمـا مقاومـة بعـض القـرى أو المـدن للفتـح الإسـلامى ، سـواء قبـل فتـح الأسكندرية الأول أو بعده ، فهذه القرى أو المدن كـانت محـدودة العـدد ، وهى استثناء لا يضر بالقاعدة العامة ، وهى ترحيب الأقباط بالمسـلمين ، ثـم إن الـروم كـانت لهـم اليـد الطولـى فـى الأعمـال العسـكرية وحركـات المقاومة ، ولم يكن للأقباط باع كبير فى هـذا المجـال ، والدليـل علـى أن المقاومة فى هذه القرى والمدن كانت من الروم وأعوانهم ، وأن معظمهـا ساعد أيضا الروم فى محاولتهم أخذ مصر من العرب بقيادة (مـانويل) ، وهذه القرى هى : بلهيب والخيس وسلطيس وقرطسا وسخا[٢] بينمـا كـان عامة الأقبـاط وعلـى رأسـهم البطريـرك (بنيـامين)، فـى جـانب العـرب بإجماع المؤرخين .

=اليعقوبى القائل بالطبيعة الواحدة . يوسف . تاريخ الدولة البيزنطية ص ١١٤،هسى : العالم البيزنطىة مرجع سابق صـ١٠٦ ، صـ ١٠٧ .

(١) بتلر : فتح العرب لمصر جـ١ صـ١٠٧ ، ص٢٣٢ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان مصدر سابق صـ ٢٢٢ ، الحموى : معجم البلدان مصدر سابق جـ١ صـ٤٩٢ .

٤- أما ادعاء (بتلر) أن عمرو بن العاص عامل الأقباط بالشدة قبل فتح الأسكندرية وبعدها ، ولو كان هناك ترحيب منهم ما عاملهم هذه المعاملة وإلا صح وصفه بالجحود .

فبتلر فى ادعائه هذا يعتمد على رواية (حنا النقيوسى) ، وكان رجل دين متعصبا ضد المسلمين ، واعترف بتلر نفسه بذلك كما سبق القول، وبالتالى لا يعول على روايته .

٥- أما بقاء بنيامين بطريرك الأقباط متخفيا مدة ثلاث سنوات بعد تمام النصر للعرب ، فليس دليلا على عدم ترحيب الأقباط بالعرب ؛ فمنصب بنيامين على قدر كبير من الحساسية ، وله أعداء من الروم ومن القبط الذين ليسوا على مذهبه اليعقوبى ، وهم الذين نجح الروم فى ضمهم إلى مذهبهم ويقدرون بالألوف[1] ، هذا فضلا عن وجود الروم أعدائه وبعض أعوانهم ، وبخاصة فى الأسكندرية ، وهى المقر الرئيس لبطركيته ، وقد نجح هؤلاء فى تمكين الروم من العودة ثانية إلى المدينة سنه ٢٥هـ/٦٤٥م ، بعد عودة (بنيامين) من منفاه ، واضطر إلى الهرب مرة أخرى من المدينة ، فالحكمة إذن كانت تقتضى من (بنيامين) التريث والانتظار حتى تستتب الأمور تماما ، وقد أثبتت حوادث التاريخ أنه كان على حق فى هذا التريث ، ولكن لا يمكن أن يكون ذلك إطلاقا دليلا على عدم ترحيب الأقباط بالمسلمين .

---

[1] بتلر : فتح العرب لمصر جـ٢ ، ص ٣٨٤

٦- أما إدعاء (بتلر) أن العرب فى سيرهم إلى الاسكندرية لفتحها للمرة الثانية، لم يميزوا بين رومى وقبطى، وأنهم ظنوا أن الجميع ضدهم، ولو كان هناك ترحيب من الأقباط بالمسلمين من قبل، لما ظن المسلمون هذا الظن ، فهذا ادعاء تنقصه الروايات الصحيحة البعيدة عن شبهة التعصب والتحامل على المسلمين ، وكان بتلر - للأسف - و (حنا) المؤرخ الذى اعتمد عليه جل الاعتماد ، من المتعصبين والمتحاملين على الإسلام والمسلمين .

هذا ولم ينكر (بتلر) ترحيب القبط ومساعدتهم للمسلمين عند عودة الروم ثانية إلى الأسكندرية سنه ٢٥هـ/٦٤٥م ومحاولتهم استعادة مصر كلها ، وقد ذكر أن (بنيامين) والأقباط معه ، وقفوا وراء العرب يساعدونهم ويشدون من أزرهم ، ويظهرون لهم الود ، فقد لمسوا فيهم العدل "وكانت لهم طمأنينة على دينهم ودنياهم ، ما كانوا ليحتفظوا بها إذا عاد حكم الروم " [1] .

وبذلك لم يجد (بتلر) أمام إجماع المصادر التاريخية ، مهربا من الاعتراف بترحيب الأقباط بالمسلمين الفاتحين ومساعدتهم ، وإن كان ذلك - من وجهه نظره - جاء متأخرا ، وقد يقول قائل إن ذلك قد يبدو منطقيا فإن القبط عندما تأكدوا من عدالة المسلمين وحسن معاملتهم ، خلال السنوات الثلاث التى سبقت إغارة الروم على الأسكندرية ، أقدموا على مودتهم ومساعدتهم ، أما قبل ذلك فكانوا لا يعرفون عنهم شيئا.

---

[1] بتلر : فتح العرب لمصر جـ٢ ، ص ٤١٠

وهذا فى الحقيقة مخالف للواقع ؛ فالأقباط كانوا يعرفون الكثير عن العرب ، وقد سبق الحديث عن الصلات والعلاقات بينهما ، ولم يكونوا أيضا فى حاجة إلى أن يشهدوا على أرضهم تسامح العرب وعدالتهم ، ولم يكونوا كذلك فى حاجة إلى ثلاث سنوات أو أكثر للتأكد من ذلك ، فقد كانت الأخبار تأتى لهم من الشام وفلسطين القريبة منهم ، والتى دخلها المسلمون قبل مصر تحكى عن عدل العرب ، وحسن سياستهم عن طريق التجار والحجاج إلى الأماكن المقدسة بفلسطين ، وبذلك سبقت العرب إلى مصر سيرتهم الطيبة ، فلا عجب - إذن - أن يرحب الأقباط بالمسلمين ، ويساعدوهم وأن تبدأ هذه المساعدة وهذا الترحيب والود مبكرا منذ الفرما.

رأى الدكتور جاك تاجر :

يرى أن موقف الأقباط من الفتح الإسلامى كان سلبيا حتى صلح حصن بابليون ، ونقل نصا عن الأب (جانو) أحد الباحثين فى التاريخ يقول: (إنهم لم يقوموا بأى مجهود لوقف الكارثة ، ولكنهم يحتمون خلف أسوار المدن التى لم يجرؤ العرب بعد على اقتحامها ، وانتظروا هجومهم عليها) وعلق جاك على ذلك (بأن الشعب قد أفسدته العبودية فكان يتحمل تبدل سادته بشئ من عدم المبالاه ، على الرغم من الشعور الوطنى الذى بدأ يظهر عنده) وأنكر المؤلف دعوة البطريرك (بنيامين) الأقباط لمساعدة العرب " فالأحداث التى وقعت بعد ذلك تكذب هذا الزعم الذى أهمله المؤرخون اللاحقون "[1] .

---

[1] تاجر : د. جاك أقباط ومسلمون ص٤٦ ، ص٤٧ .

أدلة جاك تاجر :-

كانت البراهين التى استند إليها ، والتى أمكن استخراجها من كتابة أقباط ومسلمون هى كالتالى :-

١. أن الأقباط فوجئوا بتقدم العرب غير المنتظر فبقوا حيارى زمنا طويلا، وتركوا الحوادث تقرر مصيرهم ، ولما أرادوا أن يتخذوا موقفا إيجابيا ، كان السيف قد سبق العزل ، لأن قرارهم جاء متأخرا [١] .

٢. كان الأقباط يجهلون كل شئ عن نوايا الفاتحين ، فلا يعلمون إذا كان العرب سيرغمونهم على اعتناق الإسلام ، أو سيصادرون أملاكهم ، أو سيحتفظون بنظام الضرائب البيزنطى ، وظلت هذه المسائل محل استفهام الأقباط ، فلم يدركوا أغراض العرب إلا أثناء حصار حصن بابليون[٢] .

٣. (أن الأقباط خافوا مغبة إظهار عدائهم للدولة البيزنطية أثناء الفتح الإسلامى قبل أن تتجلى المعارك عن انكسارها)[٣] .

٤. (أن العرب لم يحاولوا – قط – أن يطمئنوا الشعب المصرى على نواياهم ؛ إذ كانوا يجهلون اللغتين اليونانية والقبطية ، كما لم يحيطوا أعمالهم بأيه دعاية)[٤] .

٥. (أن العرب – فى بعض الأحيان – اقترفوا أعمالا مشينة ، وحركات قمع دامية ، مما لم يساعدهم على كسب ثقة الشعب)[٥] .

---

[١] المرجع السابق ص ٤٠ .
[٢] المرجع السابف ص ٤٢ .
[٣] تاجر : أقباط ومسلمون ص٤١ .
[٤] المرجع السابق .
[٥] المرجع السابق ص٤٣ .

٦. أن الغزاه – كما عبر جاك – (يدينون بديانة أخرى ، حقا لقد حرر العرب اليعقوبيين[١] من نير البيزنطيين ، ولكن لم يكن هؤلاء اليعقوبيون يرتاحون لحكام آخرين عقيدتهم تخالف العقيدة المسيحية.[٢]

قراءة فى منهج جاك تاجر واتجاهه :-

إن من يقرأ كتاب جاك تاجر (أقباط ومسلمون) ، يعرف بسهولة أنه من المؤرخين المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين ، والعبارات الدالة على ذلك كثيرة فى كتابة ، ويكفى هنا النظر إلى مصادره ومراجعة فى موضوع (موقف الأقباط من الفتح الإسلامى) ؛ فهى خير شاهد على انحيازه ، ونذير سوء بأحكامه الجائرة ، واستنتاجاته الباطلة ، فمصادره خمسة مصادر، أربعة منها لمؤرخين نصارى يغلب عليهم التعصب هم :

١. حنا النقيوسى فى كتابة تاريخ حنا النقيوسى أو تاريخ العالم .

٢. سعيد بن البطريق فى كتابة سيره الآباء البطارقة .

٣. ساويرس بن المقفع تاريخ بطاركة الاسكندرية .

٤. ميخائيل السورى فى كتابه تاريخ ميخائيل السورى .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق ص ٤٣ ، ص ٤٤

والمصدر الخامس كان للمؤرخ المسلم عبد الرحمن بن عبد النحكم فى كتابة (فتوح مصر والمغرب والأندلس) أما مراجعه الحديثة فكانت من كتب المستشرقين باستثناء كتاب (الفاروق عمر) – ومؤلفه الدكتور محمد حسين هيكل ، الذى يعد قصصيا وأديبا أكثر منه مؤرخا.

الرد على جاك تاجر

١. قوله إن الأقباط فوجئوا بتقدم العرب غير المنتظر ، فبقوا حيارى وأتساءل كيف يكون تقدم المسلمين مفاجأة ؟ وقد كان عمرو بن العاص،" يفتح فى بلاد فلسطين المجاورة لهم وكانت اخباره تصل إليهم – بلاشك – وقد ذكرت كتب التاريخ أن القائد البيزنطى(أريطيون) أو (أرطبون) ترك فلسطين بعد فتح المسلمين لها ، وجاء إلى مصر.[١]

ألم يكن منطق الأحداث يشير إلى أن العرب بعد انتهائهم من فلسطين المجاورة ، لابد أن يأتوا إلى مصر ؟ وبخاصة أن أعداءهم الروم كانوا يحتلونها ، وقد اتخذوا منها قاعدة لإجهاض فتوحات المسلمين فى الشام.

٢. أما أن الأقباط كانوا يجهلون كل شئ عن نوايا الفاتحين،فأمر مستبعد؛ لأن مصر لم تكن أول بلد يفتحه المسلمون ، كما لم تكن حروبهم على أرضها ، أول حروب يخوضونها ، فلابد أن الأقباط قد سمعوا الكثير عن هؤلاء المسلمين ، من بلاد الشام وفلسطين التى فتحت قبل بلادهم ، والتى كان منهم من يذهب إليها للتجارة ، أو لزيارة الأماكن المقدسة ، كما سبق القول .

---

[١] ابن الأثير : الكامل مصدر سبق جـ٢ ، ص٣٤٩.

٣. أما أن الاقباط خافوا مغبة إظهار عدائهم للدولة البيزنطية ، قبل أن تظهر هزيمتها نهائيا ، فأمر غريب ، لأنهم فى هذه الآونة كانوا يذوقون العذاب ألوانا من أجل إجبارهم على التخلى عن مذهبهم الدينى ، كما كانوا يعانون مرارة الظلم وفداحة الضرائب [١] ، ولن ينالهم أكثر مما نالهم .

٤. أما أن العرب لم يحاولوا – قط – أن يطمئنوا الشعب المصرى على نواياهم ، أو يحيطون أعمالهم بأية دعاية نظرا لجهلهم باللغتين القبطية واليونانية ، فقد كانت تصرفات المسلمين فى حملاتهم العسكرية ، وبعدهم عن التخريب والإسراف فى سفك الدماء ، أفضل وسيلة لطمأنة الأقباط ، كما كان سلوكهم خير دعاية لهم ، وكانوا حريصين على إذاعة هذا السلوك وسبق القول عن قيام عمرو بن العاص باحتجاز وفد التفاوض لديه ؛ ليتعرفوا على أخلاق المسلمين وسلوكهم ، ويذيعوه بين قومهم . وقام عباده بن الصامت أمام المقوقس ، يحدثه عن أخلاق المسلمين وعقيدتهم [٢] .

ومن جهة أخرى ، لا أظن أن الترجمة كانت متعسرة ؛ لوجود عدد من التراجمة [٣] ، ولو كانت اللغة حائلا دون اتصال العرب بالأقباط ، ما وجدنا هذه الأعداد من الأقباط الذين دخلوا الإسلام أثناء الفتح، ولم يكن دخولهم فيه إلا بعد أن فهموه واقتنعوا به [٤] .

---

[١] الرافعى وعاشور : مصر فى العصور الوسطى ، مرجع تقدم من ص ٢٠ – ص٢٤ .
[٢] ابن عبد الحكم : فتوح مصر من ص٦٥ – ص٧٣ النويرى : نهاية الأرب جـ١٩ من ص٢٩١ – ص٢٩٦ .
[٣] يذكر ابن عبد الحكم أن قوما من لخم وقت مسير عمرو إلى مصر كانوا يقيمون على تخومها ، وأنهم كانوا يعرفون لغة القبط : فتوح مصر ص٥٩ .
[٤] بتلر : فتح العرب لمصر جـ١ ، ص٢٣٤ ، جـ٢ ، ص٣٠٨ .

٥. أما القول بارتكاب العرب أعمالا مشينة وحركات قمع ، فهذا من روايات المؤرخين المتعصبين ، من أمثال (حنا النقيوسى) ، وهذه الروايات لا يعتد بها .

٦. أما أن الأقباط النصارى كانوا لا يرتاحون للفاتحين المسلمين لاختلاف العقيدة ، فإن اختلاف العقيدة لم يكن - أبدا - سبب جوهريا فى عدم ترحيب الشعوب بالحكام الجدد ؛ لأن هناك أمورا تجعل الشعوب تتغاضى عن هذا الاختلاف ، فقد ذكرت بعض المراجع ترحيب الأقباط بالفرس ، على الرغم من البون الشاسع بين ديانة وثنية وأخرى سماوية ، وما كان ذلك إلا لما ذاقه الأقباط على يد الروم من اضطهاد مذهبى وتعسف فى جمع الضرائب [١] ، وشقه الخلاف بين المسيحية والوثنية ، أبعد مما بينها وبين الإسلام ، فالمسيحية والإسلام دينان سماويان ، بل لقد قل المؤرخ الدكتور جوزيف نسيم - وهو من الأقباط - عن المستشرق ستيفن رنسيمان قوله : (إنهم - أى الأقباط - اعتبروا الإسلام أقرب إلى مبادئهم ومعتقداتهم من تعاليم مجمع خلقيدونية المسكونى) [٢] وتعاليم هذا المجمع هى التى عليها أتباع المذهب الملكانى مذهب الروم - كما تقدم .

---

(١) لويس : أرشيبالد القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ترجمة أحمد محمد عيسى مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦ ص٧٧ ، يوسف : تاريخ الدولة البيزنطية مرجع سبق ص ١٠٣ .

(٢) يوسف : د. جوزيف نسيم تاريخ الدولة البيزنطية مرجع سبق ص١١٤ .

هذا وإذا كان (جاك تاجر) قد جعل مساعدة الأقباط وتعاونهم مع المسلمين ، بعد صلح بابليون ، فقد جعلها خالية من روح المودة والترحيب، لأنها نتيجة لإنكسار القبط ، وبحكم وثيقة الصلح ، ولذلك لم تكن إلا من الأقباط الذين أخضعهم المسلمون ، أما الأقباط الآخرون فقد ظلوا على عدائهم للمسلمين ، وأورد نصا عن (حنا النقيوسى) يثبت فيه ذعر الأهالى، وفرارهم إلى الأسكندرية ، أمام تقدم العرب شمالا .[1]

وإذا كان من تعليق ، فإن الاعتماد على نصوص محل شك وارتياب ، تؤدى – لا محالة – إلى مثل هذا الاستنتاج الخاطئ والادعاء الباطل ، وبخاصة إذا كان ناقلها – هو الآخر – منطويا على نفس متعصبة ضد المسلمين .

---

[1] تاجر : أقباط ومسلمون مرجع سبق ص ٥٠ .

ثانيا : التشكيك فى ترحيب الأقباط بالمسلمين أو استغلاله استغلال سيئا :-

مر أن التشكيك فى ترحيب الأقباط بالمسلمين لم يظهر إلا حديثا ، فالمصادر التاريخية تكاد تجمع على ترحيب الأقباط بالمسلمين ومساعدتهم ، وكان هذا التشكيك من قبل بعض المستشرقين ومن تابعهم ، فقد رأوا هذا الترحيب – إذا سلموا به – يظهر الأقباط بمظهر الذى يرحب بالغزاه ، ويتخلص من نير ليضع نيرا آخر على رقبته ، والأقباط فى هذه الحالة بعيدون عن صفات الإباء والعزة والكرامة [1] والمستشرقون ومن تابعهم إذ يفعلون ذلك لا يقصدون وجه الحقيقة ، وإنما لأغراض أخرى ليست بعيدة عن الشبهات .

كما حاول بعض كتاب الغرب– من جهه أخرى – أن يثبت ترحيب الأقباط بالمسلمين ، ليخلص إلى آمر آخر ، وهو وصف الأقباط الموجودين آنذاك بخيانة وطنهم ، وقد رد عليهم المؤرخون الأقباط ، ونفوا تهمه الخيانة عن أقباط مصر عند الفتح ، وألصقوها بالحاكم البيزنطى المقوقس[2] وقال القس أنسطاس : (إن الأقباط لم يساعدوا العرب إطلاقا من أجل التفريط فى أرض مصر ، فلو أدرك الأقباط أن العرب دخلوا مصر لكى يستوطنوا بها كحكام لقاوموهم)[3] .

---

[1] أبو حديد : محمد فريد .. مقدمة كتاب فتح العرب لمصر لبتلر ص ١٤ ، ص١٥ .
[2] عفيفى : د. محمد الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى سلسلة تاريخ المصريين رقم (٥٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م ص ١٩ نقلا عن : إيذورس : الجريدة النفسية فى تاريخ الكنيسة القاهرة – بدون تاريخ جـ ٢ ، صـ١٠٢ .
[3] مجلة المستقبل العربى العدد (٣٣) نوفمبر ١٩٨١ ص٩٠ ندوة الأقباط والقومية العربية

ثالثا : *الدفاع عن موقف الاقباط من الفاتحين* :-

أكد البحث خطأ من نفى ترحيب الأقباط بالمسلمين لأن ذلك دليل الرضا بالتبعية ، أو من أثبت ترحيبهم ليصفهم بالخيانة ، فمما لاشك فيه أن القبط لا يمكن أن يرحبوا دائما بالغزاة أو الفاتحين فالطبيعة البشرية تأنف من الخضوع لأحد ، والشعوب تميل إلى حكم نفسها بنفسها ، ولكن الأيام دول وللقوة العسكرية غلبتها ، ويحكى التاريخ أن مصر حكمها الإغريق ومن بعدهم الرومان ثم البيزنطيون ثم الفرس - فى فترة قصيرة - فالبيزنطيون مرة أخرى ، وكان هذا قدر الأقباط وأمثالهم من الشعوب ، التى انصرفت إلى الحياة المدنية ، وتخلت عن الحياة العسكرية [1] ، فى عالم يحكمه منطق القوة العسكرية ، والغلبة فيه للأقوى دائما ، وغاية ما كانت تفعله تلك الشعوب ، أن ترحب بحاكم جديد تتوسم فيه العدل والإنصاف ، وتستشرف أن يكون عهده عهد الأمن والرخاء ، وترفض حاكما آخر ظهر منه ظلم واستغلال ، أوذاقت فى عهده الاضطهاد والبؤس .

---

[1] ذكر بتلر أن الأقباط لم يكونوا فى شئ من القتال والجيوش ، واستدل بما ذكره (حنا النقيوسى) من أنه لم يكن من القبط فى الجيش الرومى إلا كتيبة عرفت بكتيبة الحرس الوطنى بالإضافة إلى من كان منهم فى حراسة القرى والمدن .. فتح العرب لمصر جـ١ ، ص ٢٢٠ ، ص ٢٤١ .
وانظر كاشف : د. سيدة مصر فى فجر الإسلام مرجع تقديم ص ١

وهكذا خضع الأقباط لفترات احتلال - كما حدث لغيرهم من الشعوب- والدهر قلب ، ولا ينتقص ذلك من قدر الأقباط ، فقد حقق أجدادهم الفراعنة - من قبل كثيرا من الأمجاد ، وأقاموا من الحضارة ما هو مبعث إنبهار العالم إلى يومنا هذا .

ولا يمكننا اعتبار ما قام به الأقباط تجاه الفاتحين المسلمين - بحال من الأحوال - خيانة أو تفريطا فى أرض مصر ، فهذه المعانى لم تخطر ببال هؤلاء الأقباط ، ولم يقصدوها ، وحتى لا نظلمهم علينا أن نفهم الأحوال والظروف التى كانوا يعيشون فيها ، وتسامح الفاتحين المسلمين معهم، ورسالتهم الدينية ، وأن نفهم روح العصر .

أما عبارة " لو أدرك الأقباط أن العرب دخلوا مصر لكى يستوطنوا بها كحكام لقاوموهم " فالحقيقة أن العرب يختلفون عن غيرهم من الغزاة والفاتحين ، فهم لم يأتوا مصر لاستيطانها ، وإنما لنشر دعوة الإسلام ، وإذا كانت تداعيات الأمور ، قد أدت بالفعل إلى إقامة المسلمين فيها ، فلم يكن هذا فى مخططهم أول مجيئهم إلى مصر .

الخاتمة

وصفوة القول

أن الغالبية العظمى من الأقباط رحبوا بالفاتحين المسلمين ، ولم يكن من وقف منهم على الحياد أو انضم إلى البيزنطين إلا قلة ضئيلة ، وكان ترحيب الأقباط بالمسلمين لعوامل منها : العلاقات والصلات القديمة بين العرب والأقباط ، والحياة التعيسة التى عاشها الأقباط فى ظل الحكم البيزنطى ، فكان ترحيبهم بالعرب أملا فى الخلاص من حكم البيزنطيين الظالم ، وبحثا عن الأمان والإستقرار، لاسيما وأنهم لابد قد سمعوا عن عدل المسلمين وإنصافهم ، وكانت أخبارهم فى الشام وفى فلسطين القريبة منهم، تصل إلى مسامعهم عن طريق التجار والحجاج إلى بيت القدس .

وكان ترحيب الأقباط بالمسلمين الفاتحين ؛ لأنهم يختلفون عن غيرهم ممن غزا بلادهم ، إذ هم أصحاب دعوة دينية سامية وكانوا على خلق حسن وسلوك قويم ، ولهم جاذبية ايمانية – إن صح هذا التعبير – فهم من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم أو من تابعيهم ، ولهم تأثيرهم فى العقول والقلوب ، وقد تفاوت هذا التأثير من ميل إليهم وتعاون معهم إلى دخول فى دينهم وحماس له ، ومصادر التاريخ بما ذكرته من دخول كثير من الأقباط فى الإسلام – على قرب عهدهم بالفاتحين – خير شاهد على أثر هذا العامل الدينى ، والتأثير الروحى .

وعلى الرغم من أن المصادر ، تكاد تجمع على ترحيب الأقباط بالمسلمين إلا أن الاتجاهات الحديثة فى البحث التاريخى حول هذا الموقف ، منها من سلم بترحيب الأقباط ، ومنها من قال بحيادهم ، ومنها من فصل القول ، وذهب إلى أن هناك من ساعد المسلمين ، وهناك من ساعد الروم وهناك من وقف على الحياد .

وقد أجهد هؤلاء القائلون بحياد الأقباط أنفسهم فى لى عنق الروايات المتواترة ليا ، وتلمسوا لها التأويلات ، أو أنكروها تماما وتعمدوا الأخذ من روايات المتعصبين من أعداء المسلمين ، مندفعين فى ذلك بروح يغلب عليها التعصب والهوى .

وانقسم هؤلاء القائلون بحياد الأقباط إلى فريقين ، فريق قال بحيادهم حتى تمام الفتح سنه ٦٤٢م / ٢٢هـ وفريق قال بحيادهم حتى صلح حصن بابليون ، وقد ناقش البحث حجج الأولين ممثلين فى (ألفريد بتلر) ، كما ناقش حجج الآخرين ممثلين فى (جاك تاجر).

كما رد البحث على هؤلاء المشككين فى ترحيب الأقباط ، مدعين أن ذلك يصورهم فى صورة الراضى بالتبعية ، وهؤلاء لم يتمثلوا روح عصر هؤلاء الأقباط وما كان سائدا من معايير وقيم ، فما كان الأقباط – شان سائر الشعوب – ممن يرضى بالتبعية ولكن للزمان دوراته ، وقد كان أجدادهم الفراعنة فى قمة الأمجاد ولكنهم تخلوا عن الحياة العسكرية .

وما كان ترحيبهم خيانة لوطنهم ، لو أدركنا معاناه الأقباط فى ظل الحكم البيزنطى ومالمسوه فى الفاتحين الجدد ، الذين جاءوا بعقيدة واضحة بسيطة تدعو إلى العدل والتسامح والأخلاق الفاضلة .

هذا وبالله التوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

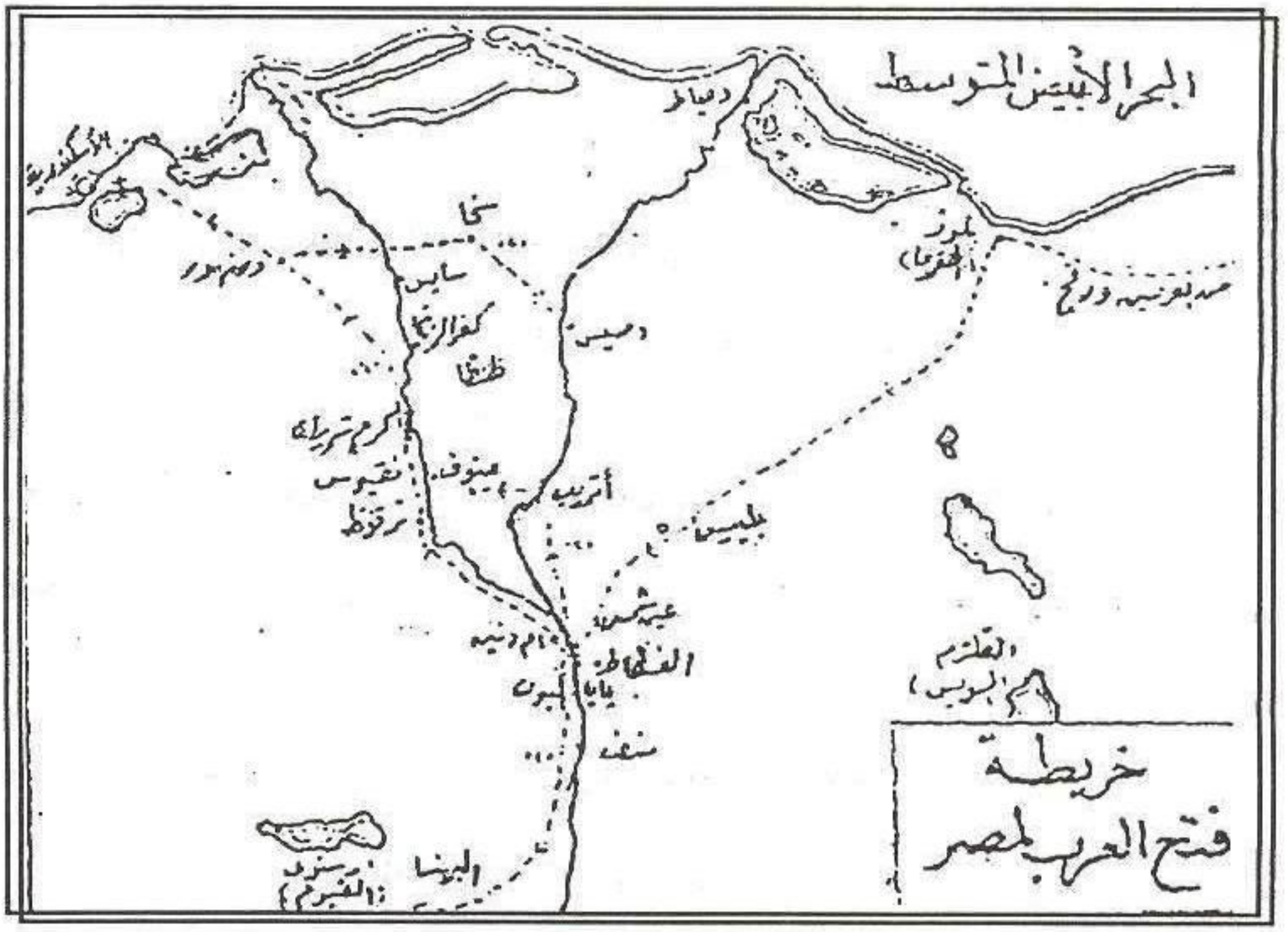

نقلا من كتاب (التاريخ الإسلامى العام) للدكتور / على إبراهيم حسن

مكتبة النهضة القاهرة بدون تاريخ

المصادر والمراجع

أولا : المصادر

ابن الاثير :أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد الشيبانى(ت٦٣٠هـ)

١. الكامل فى التاريخ : دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م

البلاذرى : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)

٢. فتوح البلدان - دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م

ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م)

٣. النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة طبع دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م

الحموى : الإمام شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومى البغدادى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م)

٤. معجم البلدان - دار إحياء التراث العربى - بيروت بدون تاريخ

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (٩١١هـ)

٥. حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة الحلبى ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م

الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)

٦. تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الجزء الرابع - دار المعارف القاهرة ١٩٧٠م

ابن عبد الحكم : عبد الرحمن (ت ٢٥٧ هـ)

٧. فتوح مصر والمغرب والأندلس - طبعة ليدن ١٩٢٠م .

ابن قتيبه : عبدالله بن مسلم :-

٨. المعارف : الطبعة السادسة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م .

الكندى : أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)

٩. ولاه مصـــر تحقيـــق د. حسين نصار - دار صادر بـــيروت - بـــدون تاريخ .

مسلم : الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٦١ هـ)

١. صحيح مسلم مطبعة عيسى الحلبى القاهرة ١٩٥٥م .

ابن المقفع : ساويرس أسقف الاشمونين (عاش فى القرن الرابـع الهجـرى / العاشر الميلادى)

١١. سيره الآباء البطارقة - مطبوعات جمعيـة الآثـار القبطيـة القـاهرة ١٩٤٨م .

النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ)

١٢. نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ١٩ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م

ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣ هـ)

١٣. سـيرة ابـن هشـام تحقيـق د. محمـد فهمـى السـرجانى المكتبـة التوفيقية القاهرة ١٩٨٦م.

الواقدى : أبو عبدالله محمد بن عمر عمر الواقدى (ت ٢٠٧ هـ)

١٤. فتوح الشام - مطبعة الحلبى - القاهرة ١٩٥٤م

اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ)

١٥. تاريخ اليعقوبى - دار صادر بيروت - بدون تاريخ .

ثانيا : المراجع

آنولد : سير توماس

١٦. الدعوة إلى الاسلام - ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوى الطبعة الثانية القاهرة ١٩٤٧.

بتلر : د. الفريد . ج.

١٧. فتح العرب لمصر - ترجمة محمد فريد أبو حديد - سلسلة تاريخ المصريين رقم (٢٧) ورقم (٢٨) (جزآن) الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٩م.

البرى : د. عبدالله خورشيد .

١٨. القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٢.

تاجر : د. جاك.

١٩. أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى إلى عام ١٩٢٢م - دار المعارف بمصر ١٩٥١م.

جواد على :

٢. تاريخ العرب قبل الإسلام - بغداد ١٩٥٠م

حتى : فيليب

٢١. تاريخ العرب بيروت ١٩٥٨م.

حسن : د. حسن إبراهيم

٢٢. تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى .

مكتبة النهضة المصرية الطبعة التاسعة ١٩٧٩م.

حسن : على إبراهيم

٢٣. مصر فى العصور الوسطى . الطبعة الثانية القاهرة بدون تاريخ .

حسين : د. محمد كامل

٢٤. أدب مصر الإسلامية دار الفكر العربى القاهرة .

٢٥. الحياة الفكرية والأدبية بمصر مجموعة الألف كتاب رقم (٢٤٤)

مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩م

الرافعى : عبد الرحمن وعاشور : د. سعيد

٢٦. مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى

دار النهضة العربية القاهرة ١٩٨٦م.

شفيق : القس انسطاس

٢٧. مقال بندوة الأقباط والقومية العربية مجلة المستقبل العربى

العدد (٣٢) نوفمبر ١٩٨١م

شلبى : د. أحمد

٢٨. موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الجزء الأول النهضة المصرية الطبعة العاشرة ١٩٨١م .

شنوده: زكى

٢٩. تاريخ الأقباط جمعية التوفيق القبطية لجنة التاريخ والنشر القاهرة ١٩٦٢م

عاشور : د. سعيد عبد الفتاح.

٣. أوربا العصور الوسطى الطبعة الأولى مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٨م.

العدوى : د. إبراهيم أحمد.

٣١. مصر الإسلامية مقوماتها العربية ورسالتها الحضارية مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٦م.

عفيفى : د. محمد

٣٢. الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى سلسلة تاريخ المصريين رقم (٥٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٢م.

عنان : محمد عبدالله.

٣٣. مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ الإسلامى.
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٠٩م

قاسم : د. قاسم عبده :

٣٤. أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى الطبعة الثانية دار المعارف القاهرة ١٩٧٩م

كاشف : د. سيدة إسماعيل :

٣٥. مصر فى عصر الولاه سلسلة تاريخ المصريين رقم (١٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٨م.

٣٦. مصر فى فجر الإسلام ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٤٧م.

لويس : أرشيبالد :

٣٧. القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ترجمة أحمد محمد عيسى . مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٦م.

نصحى : د. إبراهيم ومختار : د. جمال ونخبة من العلماء .

٣٨. تاريخ الحضارة المصرية القاهرة ١٩٦٢م .

هسى : ج.م.

٣٩. العالم البيزنطى ترجمة د. رأفت عبد الحميد الطبعة الثانية دار المعارف القاهرة ١٩٨٢م .

يوسف : د. جوزيف نسيم :

٤٠. تاريخ الدولة البيزنطية دار المعرفة الجامعية الأسكندرية ١٩٨٨م.

٤١. الإسلام والمسيحية دار الفكر الجامعى الطبعة الأولى الأسكندرية ١٩٨٦م.

الفهـــرس

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	١٣٤
التمهيد (حول وقائع الفتح الإسلامى وملابساته)	١٣٧
أولا : العوامل المؤثرة فى موقف الأقباط من الفتح	١٣٨
١. الصلات بين العرب والأقباط قبل الفتح.	١٣٨
٢. حالة مصر قبل الفتح الإسلامى.	١٤٥
٣. التأثير الدينى للفاتحين المسلمين.	١٤٨
ثانيا : موجز عمليات الفتح العسكرية	١٥١
ثالثا : موقف القبط من الفتح حسب رواية أهم المصادر.	١٥٥
رابعا : مظاهر ترحيب الأقباط بالفاتحين المسلمين	١٥٨
المبحث الأول :	١٦٠
عرض الإتجاهات الحديثة حول موقف الأقباط من الفتح الإسلامى .	١٦١
المبحث الثانى :	١٦٤
قضية حياد الأقباط تجاه الفتح الإسلامى	
أولا : مناقشة حجج من قال بحياد الأقباط	١٦٥

رأى (بتلر)	١٦٦
أدلته	١٦٦
قراءة فى منهج (بتلر) واتجاهاته	١٦٨
الرد على حجج (بتلر)	١٧٣
رأى الدكتور (جاك تاجر) وأدلته	١٧٧
قراءة فى منهج (جاك تاجر) واتجاهاته	١٧٩
الرد على (جاك تاجر)	١٨٠
ثانيا : التشكيك فى ترحيب الأقباط بالمسلمين أو استنغلاله استغلالا سيئا	١٨٤
ثالثا : الدفاع عن موقف الأقباط من الفاتحين	١٨٥
الخاتمة	١٨٧
خريطة لمصر	١٨٩
المصادر	١٩٠
المرجع	١٩٢
الفهرس	١٩٦